روايات عبير

آن هامبسون

أريد سجنك!

www.elromancia.com
مرمورية

روايات عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 116

أريد سجنك!

هناك عواطف غامضة كالهيام لا يمكن سبر أغوارها بسهولة... تتخذ أشكالا غير متوقعة مليئة بالمفاجآت وقد تغير وجهة الحياة في غمضة عين...

ليون بتريديس، الرجل ذو السطوة الرهيبة... عندما رأى تارا الحسناء كان له حلم واحد: ان يأخذها الى جزيرته الفردوسية في اليونان بأي ثمن... ولو أصبحت سجينة بالاكراه. انها المرأة التي خلقت له وحده، وحده دون سواه. أعماه جمالها عن كل شيء، حتى المجازفة بحياته، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو:

... ألم يكن لتارا رأي في تقرير مصيرها؟ لماذا لم تحاول الهرب؟

لبنان ٨ ل.ل.	الكويت ٨٠٠ ف	اليمن ١٠ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ٩ ل.س.	الامارات ١١ د	تونس ١٣٥٠ د	U.K. £ 1
الأردن ٦٠٠ ف	البحرين ١٣٥٠ د	ليبيا ٨٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٠ ر	المغرب ٩ د	Greece Drs 180
السعودية ٩ ر	عمان ١٣٥٠ ر	مصر ٨٠٠م	Cyprus P 1250

www.elromancia.com

العاشق البربري

بدا الارتياح على وجه تارا بنيت وهي تصغي الى الصوت على الطرف الآخر من الخط. لم يتخلف خطيبها مرة واحدة عن الاتصال بها كل يوم في مثل هذا الوقت، ليذكّرها مازحاً انها له وله وحده والويل لها اذا سمحت لأحد مرضاها ان يغازلها. وسألها ديفد:

ـ كيف حال جماعتك في المستشفى؟

ـ اتانا مريضان آخران في ساعة متأخرة من الليلة الماضية. كانا ضحيتي حادث سيارة، ولم أرهما الا عندما اتيت الى عملي هذا الصباح. احدهما يوناني وهو متغطرس! لم أكلّمه حتى الآن ولم ألق عليه حتى نظرة. ولكن سو غاضبة عليه لمعاملته لها. وتقول ان من يراه قد يعتقد انه سيد الاسياد.

ضحكت تارا على الخط وهي تستعيد كلام سو وشكلها وهي ثائرة.

ـ كيف هو؟ صفيه لي.
ـ تقول سو انه جميل الطلعة وتعتقد انه في الثانية والثلاثين، ولكنه يرفض ان يتكلم عن عمره.
ضحكت تارا مرة اخرى عندما اطلعت خطيبها على ما قاله اليوناني لسو عندما سألته عن عمره. فقد نظر اليها بكبرياء وصرخ في وجهها:
ـ ما لك ولعمري. قومي بعملك وكفّي عن توجيه اسئلة تافهة.
علّق ديفد على ذلك بقوله.
ـ لا يدل هذا على ان في الرجل شيئاً غير عادي.
ـ كلا، ولكن الطبيب المناوب يصر على اجراء فحوص أشعة عليه. لأن الحادث كان مهماً ولأن اليوناني ضربته سيارة كانت تسير في الجهة المعاكسة قذفت به على الرصيف. كله رضوض وفي رأسه جرح بليغ.
غيّر ديفد موضوع الحديث وقال:
ـ نسيت ان اخبرك ياحبيبتي اننا مدعوان الى مطعم ماري يوم الجمعة. جون هنا في عطلة.
ـ مدهش! اذن سيحضر حفلة زفافنا.
ـ هذا ما اعتقده. مضى عليه سنتان في الخارج واظن ان مدة عطلته ستكون طويلة. بقي لنا تسعة أيام قبل ان نتحد. يكاد صبري ينفد.
اكتفت بأحاسيسها السعيدة ولم تتكلم. واتجه كلاهما بذهنه في فترة الصمت هذه الى مستقبلهما الذي تأمل تارا ان يكون ورديا مليئاً بالبهجة. وسّرت كثيراً لصدفة وجود اخيه يوم زفافهما. خاصة انها بدون اقارب على العكس من خطيبها الذي له والدان وعمتان مستتان بالاضافة الى اخيه.
قالت تارا:
ـ يجب ان اتركك لأني سأحلّ محل التي انتهت من عملها الآن.
قال ديفد مازحاً:
ـ احذري هذا اليوناني اذن، فان اليونانيين معروفون بأنهم يطاردون النساء.
ـ لكنه ليس من هذا النوع. وسو هنا الآن تعبس وتشير باصبعها الى غرفة اليوناني.
ـ من الصعب اغاظة سو، اليس كذلك؟

ـ ان سو من اهدأ الناس... وهذا هو الشيء المطلوب في مهنة التمريض.
وداعاً ياحبيبي. سنلتقي هذا المساء.
نظرت تارا الى سو وقالت هذه الاخيرة:
ـ انه حيوان وقح!
دهشت تارا لهذه العبارة لان سو لا تتلفظ بعبارات بذيئة تسيء الى مرضاها مهما كانت مضايقاتهم لها.
ـ ارجو الا يضايقني يا سو.
ـ انه مصر على الخروج لكن الدكتور جيمسون شدد على ان نبقيه تحت المراقبة مدة من الزمن.
ـ ليس في استطاعتنا اجباره على البقاء اذا هو اراد الخروج، والدكتور جيمسون يعرف ذلك كما نعرفه نحن ايضاً.
ـ يبدو ان الدكتور جيمسون غير مقتنع بأن الانسان لا يصيبه اذى داخلي في حوادث كهذه.
لم تقل تارا شيئاً، وبعد بضع دقائق دخلت الغرفة الخاصة حيث اليوناني جالسة صينية قهوة وبعض البسكويت. وكانت قد توقفت قليلاً قبل دخولها ريثما يهدأ نبضها المتسارع.
كان اليوناني واقفاً امام النافذة ينظر الى الخارج. كان طويل القامة، عريض المنكبين نحيل الخصر، وله جسم الرياضيين. دار على نفسه وذكّرتها تقاطيع وجهه الجانبية بتلك التماثيل اليونانية التي شاهدتها في المتحف. لاحظت بروز ذقنه وخطّ فكه الناعم وانفه المعقوف...
وقف امامها الآن وجهاً لوجه... ولم تدر لماذا أجفلت. ربما كانت عيناه، وهما سوداوان فيهما لمعان البلور الاسود، ترمقانها دون ان ترفّا، ! ثم اتسعت فتحتهما وبدا لها انهما نفذتا الى صميمها. لم يتحرك اليوناني. وكان يخيل لمن يشاهده انه تحت تأثير التنويم المغناطيسي... كما لو كان ينظر الى اشياء موجودة في غير هذا العالم.
ـ ق... قهوتك.
تأتأت تارا ولكنها لم تتحرك من مكانها. كانت ساقاها ضعيفتين وذهنها مرتبكاً. وشيء فيها يحس بأن تياراً كهربائياً يدور في حلقات عبر الغرفة تمر بينها وبين الرجل الواقف امامها. لم يظهر اي دليل في وجهه على تأثر معين

او ابتسامة. واستطاعت ان تلاحظ ولكن بصورة غير واضحة لون جلده الكثير السمرة، وعظم وجنتيه المنخفض الخاص بالجنس اليوناني، وشعره الأسود الكثيف الممشط الى الوراء. تذكرت أن سو قالت انه جميل الطلعة. ولكنها لم تره كذلك، بل ان ملامحه تدل على غطرسة وعلى انه قاسٍ ومترفّع.

لم تر تارا في حياتها وجهاً يؤثر هذا التأثير في الناظر اليه. كلا، انه ليس جميلاً في نظرها هي على الاقل. وبالمقارنة معه... ديفد ليس بهذا الطول. ولكن تقاطيعه ناعمة ولطيفة وعينيه صريحتان، وفمه ممتلىء والشفتين فيهما حنان، بعكس فم هذا الرجل ذي الشفتين الرقيقتين اللتين تدلان على قسوة. وبالرغم من ذلك فيهما شيء يبعث الدغدغة في ظهر تارا. تكره تارا ان تجد نفسها وحيدة معه.

تابع الرجل نظره فيها مدققاً في جمال تقاطيعها الخارق وانفها الصغير في شفتيها القرمزيتين الجميلتين الدائمتي الانفراج. ولاحظ الدهشة او شيئاً من الخوف في عينيها الزرقاوين. وشعرت هي بهذا الخوف ولكنها لم تفهم مصدره. وكانت جفونها ترفّ واستطاعت بذلك اخفاء ردة الفعل في عينيها. ولكنها لم تستطع ان تخفي احمرار وجهها. وغضبت من نفسها لأنها لم تجد في نفسها القوة على الكلام او حتى السير نحو الطاولة لتضع القهوة عليها.

واخيراً تكلم اليوناني. ولم تكد تارا تستبشر بزوال الصمت حتى تولاها احساس جديد بالخوف او الحذر عندما سمعت رنّة صوته الغريبة ولكن الجميلة التي كان يشوبها قليل من اللكنة الاجنبية.

ـ نهارك سعيد. انت ممرضة النهار على ما اظن... ما اسمك؟

بلعت ريقها بشكل ظاهر. واخذت الافكار تدور في رأسها مثل دوامة. لماذا أربكها صوت الرجل؟ لم يقل غير بضع كلمات ولكنها رأت معاني كثيرة في تلك الكلمات البسيطة. سمعت نفسها تتمتم اسمها واحست بالدم يصعد الى وجهها. واتى الى اذنها صوت الرجل وهو يعيد اسمها بنغمة ناعمة ولطيفة.

قال اليوناني عالماً بارتباكها:

ـ تارا... لا، ليس هناك، بل على هذه الطاولة الصغيرة هنا.

تيبست في مكانها لأن الطاولة الصغيرة كانت قريبة منه كثيراً.

ـ انا دائماً اضعها هنا.

اتجهت نحو الطاولة. ودهشت لأنه لم يوقفها نظراً لسطوته التي قد تخضع لها دون ارادة لو انه أعاد طلبه لتضع الصينية حيث يريد.

وبعد ان وضعت القهوة على الطاولة سمعت صوته يوجه اليها امراً قاطعاً ومزعجاً:

ـ تعالي الى هنا!

حملقت فيه ولعنت ضعفها امامه. اين مواقفها الجريئة مع مرضاها؟ وماذا حلّ بصوتها الثابت وبنبرته الخاصة التي تجعلهم يطيعونها؟

ـ يجب ان... ان اذهب.

ولكنها لم تتم عبارتها عندما اشار اليها بيده. ورأت عينيه نصف مفتوحتين وفيهما نظرة رهيبة.

ـ تعالي هنا يا تارا.

كان صوته ناعماً ولكن فيه نبرة جعلتها تنظر حولها وتتجه نحو الباب بضع خطوات. لماذا لم تحذرها سو من ذلك؟

ـ قلت تعالي هنا.

ظل صوته ناعماً. ولكنها لم تدر لماذا اخذت تقترب منه وتطيع أمره كأنها دمية آلية. غير انها توقفت فجأة كأنما لتقاوم هذه المغناطيسية الخفيفة التي كانت تشدها اليه.

ـ قلت انه يجب ان اذهب يا مستر بتريدس، واظن ان الطبيب سيراك بعد ساعة تقريباً.

فهمت تارا من سو ان الرجل يحتج كل مرة ويؤكد رغبته في ترك المستشفى. الا انه ادهشها عندما اومأ برأسه موافقاً.

ـ سأعود لأخذ الصينية في خلال نصف ساعة.

ـ اظن اني طلبت اليك ان تأتي الى هنا.

استدارت تارا والغضب في عينيها وقالت:

ـ لا اعرف سبب مناداتك لي يامستر بتريدس، وطلبك هذا يدهشني كثيراً. فالمرضى لا يعطون الاوامر للممرضات.

وهنا ايضا توقفت عن الكلام عندما تقدم نحوها بخفة القط البري.

* * *

ـ لا تكن سخيفاً!
وافلتت من قبضته.
ـ انك شيطان مجسم! سأشكوك!
كانت غاضبة ومرتبكة معاً لأن ما عناه اليوناني عندما قال انها استسلمت كان صحيحاً. ولو ان استسلامها لم يكن طوعاً بل ضعفاً، ولكن ما الفرق بالنسبة له؟ وشعرت بالعار والاشمئزاز من نفسها. وفكرت في ديفد الذي خانته دون ارادتها. وفكرت في سو وتساءلت لماذا لم يعرض عليها هذا اليوناني عواطفه غير المحدودة.
قال الرجل وهو يتأمل في صدرها الذي كان يخفق بسرعة:
ـ لا اصدق انك ستعرضين شكواك من هذا المشهد اللذيذ يا تارا. انت استمتعت به كما استمتعت انا. لا تنكري ذلك. تكفّين عن المقاومة اذا كان العناق يروق لك. انك لم تمانعي.
ـ آراؤك في جرائتك الغرامية متكبرة يا هذا!
لماذا تلفظت بهذه العبارة او تكلمت بهذه الطريقة لا تدري. هي تدري فقط انها تغلي من الغضب ولو استطاعت لتسببت له في اذى. نظرت الى الربطة التي تعصب الجرح في جبينه وتساءلت اذا كان هذا الجرح أثّر في دماغه. لكنها ابعدت هذا الاحتمال اذ ان عقل الرجل سليم كعقلها. هذا الرجل يستغل كل دقيقة ليستمتع بملذات الحياة وفيض حيويته الداخلية يستحوذ عليه، كان الله في عون زوجته اذا كانت له زوجة... فهي ستكون عبدته ليس عقلياً فقط بل جسدياً.
ـ اكتشفت ان النساء يجدن متعة في... في اعتباراتي لهن. وانا اكيد من انك وجدت متعة انت الاخرى.
ـ انك تتكلم كشخص مجنون! اما بصدد تقديم شكوى ضدك فسأفعل

ذلك حالما اخرج من هنا!
قالت ذلك وجرت نحو الباب دون اعتبار لكرامتها كسيدة وفتحته وخرجت.
كريه، كريه! من المؤسف ان الحادث لم يقض عليه كلياً. ولكي لا تعود اليه لتأخذ الصينية، تدبرت في ايجاد ممرضة اخرى غيرها لتنوب عنها، ولكنها حذرتها من هذا الذئب المفترس.
ـ لقد اوقعك، هيه؟ هذه هي مفاجآت غرف الذكور. ولكن اذا تجرأ وحاول ان يتخطى الحدود سيذوق صفعة لن ينساها هذا المغازل!
بالطبع لم تطق تارا صبرا لمعرفة ما يكون حصل بينها وبين اليوناني عندما ذهبت لتأخذ الصينية.
سألتها وهي ترى هدوء الفتاة:
ـ كيف كان؟
ـ لم يتفوه ولا بكلمة واحدة. كان هادئاً وبعيداً. تطلع فيّ وتناول كتاباً.
قطبت تارا ما بين حاجبيها ثم قالت:
ـ غريب جداً... لم يتحايل على سو ايضاً.
ـ ربما وقع في حبك من النظرة الاولى.
قالت الممرضة ذلك وخرجت تاركة تارا في حالة ذهول...
وسألت نفسها لماذا عدلت عن تقديم الشكوى ضد هذا اليوناني المغرم.
التقت ديفد ذاك المساء وذهبا لتناول العشاء في مطعم رويال اوك.
وكانت تارا وهي جالسة قبالة ديفد تقارن بين وجهه السمح ووجه اليوناني. وعبست لأن وجه هذا المخلوق يغزو افكارها، ولكن ديفد لم يلحظ هذا العبوس في ضوء الشموع التي كانت تزيّن مائدتهما الا بعد ان رأى شرودها:
ـ هل كان يومك شاقاً في المستشفى؟ الهذا تعبسين؟
اومأت برأسها، ثم سألها ثانية:
ـ كيف كان اليوناني الذى تكلمت عنه؟ آمل الا يكون قد تكلم معك بوقاحة كما تكلم مع سو.
بلعت تارا ريقها بصعوبة وهي تتساءل كيف يكون رد فعله اذا قصت عليه حادثة الصباح، ولكنها كانت خجلة متضايقة من نفسها لاقتناعها بأنها لم

تخلص للشخص الذي تحبه. ربما كان يجب عليها ان تقاوم بقوة اكثر وان تطيل مدة مقاومتها. ربما كان بوسعها ان تمنعه من معانقتها بالمرة. وبان لها ضعفها في استسلامها بتلك السهولة. نعم، كان عليها ان تقاوم، ولا غرابة اذا هي شعرت بالذنب. ذكرها ديفد بأنها لم تجبه على سؤاله بعد. نظرت اليه وأملت الا يكشف ضوء الشموع عن تعابير وجهها.

ـ كان مزعجاً بعض الشيء.

كانت تعرف ان هذا الوصف أبعد ما يكون عن الحقيقة، ثم اضافت قائلة:

ـ انه مريض وسيء الخلق. كلمتك عن هذا النمط من قبل.

ـ من المؤكد ان مسلكهم يؤثر على الاعصاب. هل ما زال في المستشفى؟

ـ رحل بعد الغداء.

سألها مقطباً:

ـ هل ودّعك؟

ـ كلا. لم افكر فيه مطلقاً.

لم تذكر لديفد انها سعت جهدها كي لا تكون في طريقه ساعة رحيله.

ـ تخلصتم منه اذن! اتعلمين ياحبيبتي، سأسعد كثيراً اذا تركت عملك بعد زواجنا.

ـ نعم، ولكن بعد زواجنا بفترة قصيرة. اصبر قليلاً يا ديفد لأن علينا تأثيث بيتنا وأقتناء اشياء اخرى قبل مولودنا الاول.

قال مبتسماً:

ـ هذه فكرة حسنة، ونحن متفقان على ان الأم تلزم بيتها لأجل اولادها.

في صباح اليوم التالي اتى البواب بباقة فخمة من الورد وقدمها لتارا مهنئا اياها على حظها السعيد.

ـ انها جميلة حقا، ولكنها ليست لي، وربما ارتكبت خطأ بتقديمها لي.

فكرت ان الباقة أرسلها احدهم الى مريض عزيز عليه، وطلبت ان تقرأ البطاقة. وتناولت الباقة التي كانت مكونة من حوالى ثلاثين وردة يربطها شريط فضي.

نظر البواب الى تارا مبتسماً وقال وهو يرمقها باهتمام جديد:

ـ انها لك. أرسلها معجب اسمه ليونيدس.

ليونيدس... توترت اعصابها. انه اليوناني! يا لجرأته! احمرت من الغضب وكادت تمزق البطاقة لولا وجود البواب الذى كان ينتظر ردة فعلها.

قالت وهي تحاوّل ان تبدو طبيعية:

ـ شكراً يا بيل، . هذا من مريض يريد ان يعبّر عن شكره، ولكن لا يجب ان يبذّروا مالهم بهذه الطريقة. رغم ان نيتهم حسنة.

قال بيل بفتور:

ـ طبعاً، لكنها تساوي ثروة.

ورغم غليان الدم في جسمها لم تجرؤ تارا على رمي الباقة في القاذورات. أغراها جمالها فأرادت ان تعتني بها وترتبها في وعاء كبير. وزادت من رونقها عندما قطفت أوراقاً خضراء من حديقة المستشفى ورتبتها حول الورود.

كان الجميع يريدون معرفة اسم من ارسلها ولن ارسلها.

لم ترد تارا ان تكذب. ولكنها ايضاً لم تكن تنوي ان تكشف عن مرسلها اليوناني الذي سمع عنه كل نزلاء المستشفى منذ ان اذاعت سو اخباره على الملأ، فقالت ان البواب أتى بها وان البطاقة ضاعت. وبالفعل رمتها تارا في صندوق الزبالة.

قيل لها فيما بعد انها مطلوبة على الهاتف وكان المتكلم ليونيدس بتريدس. سألها اذا أحبت الورود.

فأعادت السماعة الى مكانها فوراً، ولكنها بدأت تنتفض. ماذا يجب ان تعمل؟ ترددت في السابق بين ان تطلع خطيبها او لا تطلعه على الامر. ولكنها حسبت حساباً للنتائج، وكان هذا خطأ منها لأن خطيبها أول من تلجأ اليه في الصعوبات او كلما احتاجت الى مساعدة او نصيحة. لذا قررت ان تتجاهل اليوناني اذ انه سرعان ما سيملّ من هذه السخافات. ولكن بينما كانت تترك شقتها ذلك المساء في مبنى الممرضات الجديد وهي في طريقها الى محطة السيارات رأت نفسها وجهاً لوجه معه.

صرخت في وجهه قبل ان يتكلم:

ـ اذهب عني! واذا تابعت مضايقتي فسأطلب الحماية من الشرطة!

قال مشيراً الى سيارة بجانب الرصيف:

ـ انسي هذا. ادخلي وستتكلم بهدوء، ولن يكون جوابك رفضاً يا تارا.

ولما حاولت ان تقاطعه اضاف:

ـ يجب ان نتكلم، أتفهمين؟ تلاقينا في الحياة وليس من السهل ان يختفي احدنا عن الآخر. لذا، ارجوك، ادخلي السيارة و. . .

ـ هل تفترض انني ذلك النوع من الحمقى؟

ولما حاولت ان تبتعد عنه اعترض طريقها وأوقفها. دارت بنظرها حولها لعل احدى الممرضات تراها من احدى النوافذ الكثيرة في المبنى.

ـ ما الذي يجعلك تعتقد اننا يجب ان نتباحث؟ هذا شيء لا اتصوره. ارجوك، دعني اذهب. يجب ان استقل السيارة!

ـ اين وجهتك؟

كان صوته خافتاً ولكن فيه وقاحة.

ـ انا أوصلك.

قالت حانقة:

ـ خطيبي ينتظرني، لذا فابعد من طريقي!

ـ خطيبك!

نظر الى وجهها الجميل الذي زادت من جماله هالة من الشعر الذهبي، بتسريحة طويلة ذات اطراف متموجة كأنها ترفض ان تكون ملساء مثل باقي شعرها. وكانت خصلة تتوج جبينها العريض الذكي وتتموج الى ان تصل صدغها.

ـ خطيبك. . . ؟ انت مخطوبة وستتزوجين؟

كان صوته اجوف وحّيرها هذا التغير المفاجيء فيه.

ـ نعم.

اجابته بكلمة واحدة فقط وشعرت كأنها ضربت انساناً في صميمه وآلمته.

ـ والآن ياسيد بتريدس، ارجوك ان تدعني أمرّ. فان سيارة الباص قد تأتي في اية لحظة. . . ها هي قد اتت، يجب ان اذهب.

ـ كلا!

كان صوته آمراً ووجهه قاسياً كوجه وثني. واضاف:

ـ سأوصلك انا بنفسي.

حاولت الافلات منه ولكنه بقي في مكانه يسدّ عليها الطريق. ونظرت الى الباص وقد مر عنها، فقالت يائسة:

ـ أرأيت؟ ها قد ذهب. سيقلق علي خ. . . خطيبي. اوه، لماذا تضطهدني

هكذا؟

ـ الم تحزري؟

ـ أحزر؟

هزت رأسها وهي اعجز من ان تفكر في اي شيء سوى ديفد الذي ينتظرها عند موقف الباص. واضافت مستوضحة:

ـ احزر ماذا؟

ـ انسي ما قلته. ادخلي السيارة الآن وسأقودك الى خطيبك.

اقتنعت اخيراً بصدق كلامه. ودخلت السيارة.

ـ حسناً سأدخل.

لم تطق لمسة يده وهو يحاول مساعدتها في دخول السيارة، حيث جلست جامدة تتوجس شراً وتشك في انه سيوصلها الى خطيبها. لماذا وثقت فيه؟ الم تختبر معاملته لها؟

ـ اريد ان اتكلم معك يا تارا. هل انت مستعجلة حقاً للقاء خطيبك هذا؟

ـ انه ينتظرني عند موقف الباصات.

ـ اذن لدينا بعض الوقت لألحق بالباص.

قال ذلك واندفع بسيارته فدخل شارعاً تزينه اشجار على جانبيه. كان الوقت غسقا في اول ايام شهر نيسان (ابريل). وبدأت ترتجف ولكنها لم تصرخ اذ انها لم تر فائدة ترجى من احتجاجاتها. وتوقف ليونيدس بتريدس على بقعة خضراء بجانب الطريق. تمهل قليلاً، ثم نظر اليها وقال:

ـ انك لن تتزوجي خطيبك الذي تتوقعين ان تلتقي به. خطيبك ليس من نصيبك.

ـ ماذا تقول؟ انت لا تعرف خطيبي. وفي اعتقادي انك معتوه. آه، كان يجب ان اطلب حماية الشرطة منذ البداية.

تطلع فيها بدهشة بريئة وسألها:

ـ ماذا عملت؟

ـ عانقتني بالقوة وأرسلت لي زهوراً واتصلت بي هاتفياً! والآن اجبرتني على دخول سيارتك. . . خف صوتها وهي تلفظ العبارة الاخيرة عندما رأته يبتسم.

ـ هل تفترضين ان اشياء مثل هذه ستقنع الشرطة لتقوم بحمايتك؟ انا لم

اجبرك على دخول السيارة يا تارا. انت دخلتها باختيارك، وسأفي بوعدي وآخذك الى خطيبك ولكن بعد ان نتحادث. إلا اننا لن نصل الى نتيجة اذا بقيت متمسكة بادعاءاتك ضدي. لذا انصحك اذا كنت فعلاً تريدين ملاقاة خطيبك ان تكوني اكثر تفهماً ريثما نناقش اقتراحي.

ـ اقتراح ياسيد بتريدس؟

ـ ليونيدس... كما هو مكتوب على البطاقة التي كانت مع باقة الورد. واصدقائي ينادونني باسم ليون فقط.

كانت جلسته جانبيه ولذا كان أسهل عليه ان ينظر اليها مباشرة.

ـ بما اني لست صديقة لك ولن اكون، فسأناديك سيد بتريدس واكون ممتنة اذا ناديتني بالآنسة بنيت. واقتراحك هذا، اذا رأيت من الضروري ان تعرضه عليّ، فأرجوك ان تسرع بعرضه وتأخذني بعدها الى خطيبي.

ورغم انها تتكلم بهدوء كان قلبها يخفق بسرعة. رأت نفسها في عالم كله ظلام حيث تنتظر المجهول او القدر. وبالفعل نزل القدر وتكلم: طلب اليوناني منها ان يتزوجها.

عندما تذكرت هذا فيما بعد وهي صافية الذهن انقشع عنها ذلك الضباب الذي كان يلفها وهي في السيارة. عندما تقدم بطلب يدها وهي تنظر اليه مبهوتة سألت نفسها لماذا لم تقفز من السيارة وتهرب.

شعرت في حينه كأنها فريسة لتأثيره ذي القوة المغناطيسية التي سمّرتها في مكانها وأرغمتها على سماع حديثه.

أكد لها انه يسعدها بحياة هنيئة في فيللا بيضا وزرقاء على جزيرة هيدرا في اليونان. وانه سيكون لها خدم ومصروف جيب يزيد عن حاجتها. ولم تحاول مطلقاً ان تقاطع كلامه الذي كان ينساب من فمه بسهولة مدهشة وكان أشبه بقصص الخيال. انها تحلم وتهذي. هذا لا يحدث في الحياة الحقيقية.

انهى كلامه وانتظر ردّها عليه ولكنها بقيت حالمة.

ـ لم تقولي شيئاً بعد يا تارا.

نظرت اليه وتأملت وجهه فرأت دلائل العزم في كل تقاطيعه وشعرت بقوة عينيه التي تؤثر في الناس وترغمهم على الخضوع لرغباته. تكلمت بسرعة لتظهر له انها لم تقع تحت سطوته:

ـ اني سأتزوج من ديفد خلال ثمانية ايام يا سيد بتريدس.

ـ ثمانية ايام!

تفرس فيها بعينيه السوداوين. ودفعتها غريزتها الى وضع يدها على عنقها دفاعاً عن النفس. من المؤكد ان هذا الرجل يريدها الى درجة انه عرض عليها الزواج مستثنياً اياها من بين كل النساء اللواتي يعرفهن.

وللوصول الى مراده قد يفعل اي شيء، وراودها الشك في انه سيقتل خطيبها. ورسخ شكها في ذهنها عندما قال:

ـ لن تتزوجي من احد غيري في ثمانية ايام.

استولى عليها خوف غامر مدّها بالشجاعة الكافية لتقفز من السيارة وتركض بسرعة دون توقف الى ان وصلت الطريق العام. لحق بها ولكن في الوقت الذي استغرقه ليغيّر اتجاه السيارة ويصل الى الطريق العام كانت تارا قد اختفت داخل حرش مجاور حيث قبعت بين الاشجار وانتظرت الى ان رأته يتجه بسيارته على طريق الباص.

٢ ـ عروس في المرآة

وقفت تارا وهي لابسة فستان العرس الابيض مع سو التي ستكون لها وصيفة الشرف واخذت هذه الاخيرة الفستان فوجدته في منتهى الكمال.

ـ كم جميلة انت في هذا الفستان! لم أرَك أجمل من اليوم يا تارا!

توردت وجنتا تارا لهذا الاطراء وشعرت بسعادة لا توصف. اليوم ستكون العروس المحبة لشخص يحبها وينتظرها ليعلن انه لها وأنها ستكون زوجته الى الابد. كانت واقفة امام المرآة وتنهدت:

ـ اوه، اليوم انا اسعد من يكون! بعد ساعة ونصف سأصبح السيدة ديفد روثويل.

وفجأة جمدت في مكانها. ولم تعد ترى او تعي شيئاً غير وجه اسمر اللون لشخص يقف امامها... واخذ اسمه يطن في اذنيها... «ليون

بتريدس» يتبعه لقب «السيدة ليون بتريدس»... قد يكون هذا اسمها لو قبلت به.

ـ تارا، مابك؟

كان صوت سو مفعماً بالقلق والذهول ولكنه ازال الطنين من اذني تارا.

ـ كان مظهرك مظهر أسى! اي انك بدوت حزينة... نوعاً ما.

ـ كيف تتكلمين هكذا؟

كان صوتها شبه مخنوق الا انها حاولت تغطية ما حلّ بها وقالت:

ـ انا اسعد فتاة في العالم!

لكن فكرها اتجه الى ذلك اليوناني الذي اتى ورآها في اليوم الثالث بعد هربها منه. كان ذلك عندما خرجت ذلك المساء مع ديفد واوصلها في آخر السهرة الى مبنى الممرضات في المستشفى. وقفت تارا عند المدخل واخذت تلوّح له بيدها مودعة. وبعد ان اختفت سيارة ديفد عن الانظار وارادت ان تدخل وجدت نفسها فجأة بين ذراعي اليوناني الذي لم يمهلها حتى لتتنفس، اذ هجم عليها يعانقها بعنف.

عادت هذه الذكرى اليها وهي واقفة امام المرآة في فستان العرس. واصابها الخجل من نفسها لأنها قصّرت في اخلاصها لديفد. فهي لم تصرخ بعد ان هدأ جنونه وابعدها عنه قليلاً واخذ يتفرس في وجهها على ضوء المصباح الكهربائي. لم تستطع الهرب لانه كان ممسكاً بها. لكن لماذا لم تصرخ؟

★ ★ ★

بدا ديفد مجرد ظل غير واضح. طلب ليون بتريدس ان تتفوه باسمه فاطاعته على الفور، وقال ان القدر جمعها فوافقت، وطلب اليها ان تفسخ خطوبتها مع ديفد فوعدته بذلك. كانت هجينة بين يديه، بين يدي هذا اليوناني الذي انحدر من الاساطير الاغريقية...

برز القمر واضاء وجهها وسمعت اليوناني يهمس في أذنها:

ـ انا سيدك. انا امتلكك روحاً وجسماً. ستأتين الي. ستكونين امرأتي. سنكون سعيدين الى الأبد.

وستسحرك جزيرتي يا تارا. جزيرتي بلا طرق وهذا يعني انها بلا ضجة. وعندما تقفين امام الفيلا سترين الجبال والوديان والبحر الازرق الهادىء امامك وعن يمينك وعن يسارك. ستزين الزهور شعرك والمجوهرات عنقك.

انحنى ليعانقها فرفعت وجهها اليه وعانقته، وبعدها رجته كي يدعها تذهب واعطته وعداً بانها ستكون زوجته...

أتى الصباح وأتى معه الاحساس بالعار ومرارة الحقيقة. ارادت ان تبكي ندماً على ضياع براءة نفسها... ارادت ان تطلب العفو باكية لأنها فقدت قدسية قلبها التي كانت تسحر خطيبها ديفد وهو يناديها «يا طفلتي العزيزة». لم تعد تلك الفتاة الخجولة...

خدّرها اليوناني بألاعيب حبه الماكرة ولكنها ما زالت تكرهه كرهاً عميقاً. لماذا القى بها القدر بين مخالب هذا الغريب؟ لعنت تلك الساعة التي قذف فيها القدر باليوناني الى حياتها، بعد ان كانت تحيا حياة هدوء وبراءة، وبعد حب ناعم لا اثارة فيه لكنه مع ذلك حب زمالة كله عطف وحنوّ ورقّة.

اتى هذا اليوناني بحب هائج كالعاصفة لا حدود لقدرته في اثارة العواطف ونبضات القلب. حب اكتسح كل شيء امامه وحرمها من كل شيء الا من لذة الساعة. وبالرغم من كل ذلك حاولت تارا ان تبعد اليوناني عن ذهنها. ولتنجح في ذلك طلبت من ديفد ان يأتي اليها كل مساء ليصطحبها معه ويعيدها الى شقتها في المستشفى حيث كان ينتظر الى ما بعد دخولها.

اتصل بها ليون واتفقا على موعد للقاء في أحد فنادق المدينة ولكنها لم

تذهب. وكانت قد طلبت من عاملة الهاتف الا توصله بها وان تقول له انها في العمل او في الخارج او اي شيء آخر... لأنه كما قالت لها يضايقها كثيراً.

واقترب يوم عرسها دون ان تقابله ولا مرة واحدة. وشعرت بالأمان والاطمئنان ومضى بعض الوقت قبل ان يخبروها بوصول التاكسي. افاقت تارا من هذه الذكريات على صوت سو. وتناولت باقة القرنفل الابيض والزهري.

ومن تقاليد الزفاف ان يصطحب العروس من البيت الى مكان عقد القران والدها او صديق للعائلة. وكان سيرافق تارا صديق يسلمها الى عريسها عند المدخل. دخلت تارا التاكسي واخذت مكانها بجانبه وكان يبتسم لها. وعندما نظر اليها جايك هتف باعجاب:

ـ ما شاء الله! جميلة! ... ان ديفد لمحظوظ! ولكن لماذا لم اسبقه واحظى بك؟

قال ذلك مازحاً وضحك كلاهما. وكانت سعيدة. فقد ابعدت ليون عن تفكيرها وتطلعت الى هذا اليوم الجميل والى شهر العسل بعد حفلة الاستقبال في فندق غولدن لايون. واثناء الطريق لاحظت تارا ان التاكسي كان يتمهل في سيره ولفتت نظر جايك الى ذلك. فقال ان السائق ذكر له ان في المحرّك بعض الخلل. ولكنه طمأنها الى انهما سيكونان هناك في الموعد المحدّد.

ولكن بينما هم في الطريق اهتزت السيارة مرتين او ثلاثاً ثم توقفت. قلق كل من تارا وجايك لهذا الطارىء. واتى السائق وفتح الباب بعد ان تفحص المحرّك وقال معتذراً ان فيه عطلاً وسيفحصه ثانية.

تفرست تارا في وجه الرجل وقد لفتت طريقة لفظه انتباهها. لغته الانكليزية ممتازة ولكن فيها لكنة غير انكليزية تماماً. شعره اسود كعينيه وجسمه برونزي اللون. من اي بلد هو؟ ان بريطانيا تعج بالاجانب ومن الصعب معرفة اصلهم.

ـ لا تقلقي. اذا لم ينجح في اصلاح العطل فنستطيع ان نأخذ سيارة اخرى.

قال جايك ذلك ليطمئنها. وبالفعل اسرع سائق السيارة بتأمين تاكسي

آخر. واسرعت تارا في الانتقال من التاكسي الاول الى الثاني لأنها لا تريد ان تتأخر عن الوصول الى المعبد عند الوقت المحدّد تماماً. لم يتحرك سائق السيارة الثانية من مكانه. فأسرع سائق السيارة الاولى بفتح الباب لتارا كي تدخل وتحتل مكانها. وفيما هي تنحني لتدخل دفعها السائق الى الداخل واغلق الباب بسرعة. واندفعت السيارة بها كالبرق الخاطف.

مضى بعض الوقت قبل ان تعتدل في جلستها وترتب ثوبها وتنتبه الى ان جايك لم يكن معها في السيارة.

نبهت السائق وقالت له:

ـ نسيت السيد الذي في رفقتي...

ـ اجلسي واستريحي يا تارا. الطريق امامنا طويل.

كان صوت السائق هادئاً، بطيئاً جعل قلب تارا يخفق بسرعة خشيت معها ان يقفز من صدرها. واحست بدوار في رأسها.

ـ قف، قف حالاً. انزلني الآن. انزلني!

نزع بتريدس القبعة عن رأسه ومسح شعره بيده، ثم قال:

ـ قلت استريحي. سأسرع كثيراً وعليك الا تفتحي الباب.

ـ سأفتحه. سافتح النافذة واصرخ.

كانت السيارة تسير بسرعة ستين ميلا في الساعة. واخذ دماغ تارا يعمل بسرعة علها تجد وسيلة تخرجها من هذا المأزق. عرفت الآن انها أكثر حماقة مما تصورت. فقد اطمأنت الى انها تحايلت على هذا اليوناني وتخلصت منه اخيراً ولم يخطر ببالها أنه سيلجأ الى هذه الوسيلة الجهنمية.

ـ لن تفلت من هذا ابداً لأنهم يكونون قد اتصلوا بالشرطة الآن ومن المؤكد ان شريكك موقوف.

أجابها ليون:

ـ ياعزيزتي، انت لا تعبّرين الاّ عن أمنية. ان الرجل الذي ساعدني كان موظفاً عندي وارسلت في طلبه منذ بضعة ايام ليساعدني على اختطافك بعد ان تأكد لي انك تراجعت عن وعدك بالزواج مني. والآن ساصطحبك الى بلدي اليونان. ويكون مساعدي قد اختفى عن الانظار قبل ان يفطن صديقك الى المؤامرة وسيكون في انتظارنا على زورقي في بريدبورت.

ـ زورق؟ أنت تأخذني الآن الى زورق؟

لم تتأكد أنها سمعت صوتها. نظرت الى باقة الزهور التي في يدها ولم تتمالك من البكاء. توسلت اليه ان يدعها وشأنها:

ـ ارجوك ارجعني. ماذا تتوقع من اختطافي؟ لا ادري ما الذي ستربحه! سيلقى القبض عليك وسترسل الى السجن. ألست خائفاً؟

ـ هل يبدو علي الخوف؟

سألها ساخرا، ثم وجه اليها سؤالاً كان هو الجواب:

ـ تسأليني ما ساربح. زوجة، اسمها تارا، تلك الفتاة التي وعدت والتي تراجعت عن وعدها.

صوته ناعم، لطيف يخفي وراءه غيظاً شديداً وغريزياً. سرت قشعريرة برد في جسمها.

ـ لن اتزوجك ابداً، ابداً. ولن تمنعني اية قوة من زواجي بديفد.

كانت غاضبة وخائفة. وهذا الاجنبي؟ كان هادئاً وواثقاً من نفسه غير عابىء بالجريمة التي ارتكبها... وكان صمته يثير حقدها عليه.

ـ انت مجنون! لا تستطيع اخذي الى اليونان بدون ارادتي! كيف ستأخذني الى هناك؟ لا توجد اية وسيلة.

قالت ذلك في محاولة يائسة لتعطي نفسها بعض الثقة. وكانت تشك بذلك منذ البداية.

ـ قلت اننا سنستقل زورقا. وآمل ان تعودي الى رشدك وانت على الزورق. وإلا سأسجنك في غرفتك واقفل عليك بالمفتاح ولن تخرجي منها الا في نهاية الرحلة.

زاد من سرعة السيارة الى ثمانين ميلاً، واضاف:

ـ القدر جمعنا والقدر لا يحارب يا تارا. لأن ذلك كان مكتوباً قبل ولادتنا.

ـ تتكلّم كالأحمق!

ـ وانت تتكلمين بدون تحفظ. أحذّرك من ذلك لأني لا اقبل ان يكلمني احد بدون احترام.

صرفت اسنانها وأنساها غضبها كل شعور بالخوف. فقالت:

ـ اذا اعتقدت اني سأحترمك فانك احمق... ابله! من يحترم مجرماً... مختطفاً؟

ـ امرأتي ستحترمني كما يحترمني كل من له علاقة بي.

سألته بفضول:
- ومن عساك تكون؟
- زوجك... وسيّدك.
ودت لو تضربه لو ان ذلك لا يعرض حياتها للخطر. فأخذت تفكر في طريقة للخلاص... آه، وجدت الحل وخفق قلبها لهذه المفاجأة.
صرخت بانتصار:
- جواز سفري! كيف تخرجني بلا جواز سفر؟
كان النصف الآخر من عبارتها خالياً من الحماس لأنها في الوقت نفسه رأته يخرج شيئاً من جيبه ويلوّح به في وجهها.
- انت... سرقته... ولكن كيف؟
- مساعدي، سائق التاكسي، تسلل الى غرفتك بسهولة كبيرة كما قال.
اعاد ليون جواز السفر الى جيبه وزاد من سرعة السيارة. ورأت الشجر يركض الى الوراء بسرعة شديدة. وكانا الآن يقتربان من مصيف بريد بورت الجميل. لكنها ستهرب وأملها ان تجد طريقة ما. اذ كيف يستطيع ان يحملها على الصعود الى الزورق بالرغم منها امام الناس؟

٣ - سجينة اليخت

كان الوقت ليلاً عندما وصلا الى الميناء، وقبل ان تدير تارا رأسها لترى ما حولها وضع احدهم يده على فمها ودفع بها الى قارب صغير لنقلها الى يخت اليوناني. طار مشروعها بالاستنجاد بالناس وطارت معه آمالها. ومما زاد في يأسها المعاملة الخشنة التي لقيتها وهي تنقل من السيارة الى القارب الصغير ثم الى اليخت. واخيراً الى غرفتها. اخذت تتفحص الغرفة. فوجدتها مصنوعة من خشب التيك الرقيق وكانت تسمع من خلاله اصواتاً مكبوتة. كان ذلك هدير الآلات والمحركات. وكان ليون قد ذكر لها ان في اليخت سبع غرف او قمرات بالاضافة الى شقة لطاقم الملاّحين. اما شقة صاحب اليخت فهي مجهزة ومفروشة بأحسن ما يجده الانسان في ارقى الفنادق. غرفتها لا تشبه غرفته طبعاً الا انها مزودة بخزانة للثياب وبزاوية

www.elromancia.com

لطيفة للزينة. كان الفراش ناعم الملمس عليه غطاء من الحرير فوق حرام ازرق.

جلست تارا على السرير والدموع تسيل من عينيها. واخذت تتحسر على ما فاتها من سعادة بسبب هذا اليوناني الضاري الذي اوقعها في قبضته. ولولاه لكانت الان زوجة سعيدة تمضي شهر العسل في فندق مريح.

لم تكف عن البكاء ولكنها عادت الى افكارها السابقة. ماذا جرى يا ترى بعد ان اختفت؟ بالطبع اول ما يقوم به جايك هو الاتصال باقرب مقر للشرطة. وتقوم الشرطة بالبحث عنها فلا تجدها، ولن تجدها. وكيف سيجدونها.

لن تفكر الشرطة ان هناك صلة بين اختفائها وبين مالك اليخت كاتانا الراسي في ميناء دورست. تذكرت تارا اول مقابلة لها لليوناني في غرفتها بالمستشفى، وعضّت اصابعها ندماً لأنها لم تخبر ديفد بمعاملته لها، وبما انها لم تطلع اى انسان على علاقتها به فلن يذكر اسمه في تحقيقات الشرطة. هذه نتيجة حماقتها. كانت لديها كل الاسباب لتشكو منه ومع ذلك احتفظت بها سراً.

فتح الباب ورأت ليون واقفاً في المدخل متكئاً بيد على دعامة الباب واليد الاخرى في جيبه. كان وجهه مشرقاً بابتسامة ساخرة ووقفته وقفة انتصار وتحدٍّ. الا انها كانت ايضاً وقفة ارستقراطية، يونانية، وثنية.

كانت عيناه السوداوان تتحركان ببطء وبوقاحة وهما تتفحصان الجالسة على السرير في ثوبها الابيض. كان منظرها من سخريات القدر مضحكاً ومبكياً في آن.

ـ من المؤسف انه لا يوجد كاهن ليقوم بمراسيم الزواج. خاصة وانت جاهزة لمناسبة كهذه.

كان تعليقه فيه تهكم آلمها، لكنها امسكت عن البكاء. واحتارت بين ان تتهدده او تتوسل اليه ولما رفعت نظرها ورأت سحنته المتحجرة ادركت تفاهة محاولتها. فهمست سائلة:

ـ ما هي نيّتك تجاهي الآن ؟

فقط لو تكف عيناه عن التطلع فيها بسخرية.

ضحك قليلا ثم تكلم بجد:

ـ هذا سؤال سخيف ياعزيزتي. نواياي تعرفينها جيداً... هذه اول مرة تكون نيتي فيها شريفة حقاً: اني اريد ان اتزوجك.

كان وهو يتكلم ينظر الى وجهها الجميل ورأسها المنحني وقوامها الرشيق ويديها اللتين كانت تفركهما بعصبية.

ـ يجب ان تفخري وتشعري بالسعادة لا ان تكوني بائسة حزينة كأن ماساة حلّت بك.

وفجأة تحول صوت هذا الغريب الى لهجة فيها شدة وعزم وشيء من الحدة:

ـ هل تريدينني ان ارغمك على الابتسام ام انك ستبتسمين طوعاً؟

كان جوابها دموعاً تسيل بغزارة:

ـ ارجوك، دعني اذهب. اتوسل اليك،! ارجعني، ارجوك! ارجوك! أتعيدني الى البيت اذا انا وعدت بـ... بعدم ابلاغ الشـ... شرطة؟

ـ هل قمت بهذه العملية الخطرة حتى تأتي انت وتقنعيني بان اعيدك؟

ـ الا قلب لك؟ كنت على وشك الزواج ... والذهاب الى شهر العسل. كن رحيماً معي ودعني اعود الى الرجل الذى احب.

قالت هذا وبداها مضمومتان ومرفوعتان امام وجهها تتوسلان. عبثاً حاولت. ظل واقفا غير متأثر بتوسلاتها وكانت عيناه تنظران اليها بلا شفقة ولا تتحركان. تذكرت كيف سحر عينيها في احدى المرات بجاذبية مغناطيسية وجعلها تخضع لارادته.

ـ تعتقدين انك تحبين ذلك الشاب، ولكني اؤكد لك عكس ذلك. وان زواجك سيكون نكبة عليك. انا انقذتك وستشكرينني يوماً على ذلك.

قالت بصوت تخنقه العبرات:

ـ لن اشكرك ابداً. من اين لك الحق، انت الغريب، تتدخل في حياتي؟

ـ لن أتدخل في حياتك فقط بل سأتحكّم بها ايضاً.

صدمها هذا القول. من هو حتى يعيّن نفسه طاغية على الغير؟ ثار فيها شعور بالغضب نسيت معه خوفها وبؤسها وأملها الضائع.

ـ اخرج من هنا واتركني وحدي! اخرج ولا تعد مرة اخرى!

ولكنه على العكس مما كانت تأمل، اقترب منها وتناول يدها.

ـ فيك جرأة وانا احب المرأة الجريئة. ولهذا السبب افضّل الانكليزيات على اليونانيات اللواتي تعلّمن ان يكنّ متواضعات.

شد على يدها بقوة عندما حاولت سحبها من يده وهو يتكلم.

ـ الا انه لا يجب ان تظني اني سأمنح امرأتي الحرية بأن تتعدى المعقول في كلامها ومسلكها. والرجل اليوناني سيد في بيته وانا يوناني.

لم يعجبه انها لم تكف عن البكاء. قال:

ـ آمل انني اوضحت الامور الآن.

رفعت نظرها اليه. كانت شاحبة اللون واتخذت وضع كرامة واحتشام لعل ذلك يؤثر فيه اكثر من اوضاع الغضب والبكاء. أجابت:

ـ كل التوضيح، وبما اني لست امرأتك فان التقاليد اليونانية لا تعنيني.

ضحك مرة اخرى. اوقفها على رجليها وجذبها نحوه ثم رفع وجهها اليه. توترت اعصابها ولكنه انحنى ببطء وعانقها بليونة.

ـ يمكنك ان تستمري في النظر الي بغضب ولكن غضبك سيتحول الى رضى بعد لحظة.

كادت تبصق في وجهه.

ـ الى رضى! آراؤك بشخصك متكبرة!

ـ علمتني خبرتي معك اكثر مما توقعت انك ستكونين رفيقة مذهلة في الليالي.

نسيت موقف الكرامة الذي ارادته لنفسها وتملكها غضب شديد لحقيقة ما نوّه به.

ـ اتركني، والافضل ان تتركني لأنني لن اكون امرأتك، ابداً!

ـ ستكونين لي لأني مصمم على ان تكوني لي يا تارا، بزواج او بغير زواج. لذا من الانسب ان تتقبلي ما هو محتوم.

وعلى هذا طوقها بذراعيه في عناق.

ـ نعم، من المحزن عدم وجود أحد لعقد قراننا.

ـ ان وجد أحد ام لم يوجد عندي سيّان. لن اتزوجك.

ـ لن يفيدك عنادك.

ـ ... الذين سيخدمونك سفلة مثلك.

ـ لي بينهم اصدقاء. صدّقيني، ستتزوج.

ـ يعني ذلك انكم ستجرونني الى المعبد بقوة السلاح؟

ـ لن نحتاج الى هذه المسرحية.

ـ كيف ستجبرني اذن؟

وجهت اليه هذا السؤال وهي تحاول ان تتصور ما يحدث الآن هناك في المستشفى. وفي بيت ديفد الذي لابد ان يكون غارقاً في حزن عميق. وفي والديه اللذين احباها واحبتهما وفي اخته ماري التي كانت بمثابة صديقة لها. تصورت الفوضى التي تكون قد دبت في المعبد حيث المدعوون في انتظارها، وفكرت بموقف جايك الذي كان مؤتمناً عليها ليوصلها الى عريسها امام المحراب. ومرة اخرى لعنت تارا نفسها لأنها لم تخبر انساناً عن مضايقات اليوناني وتحرّشه بها.

ـ اذا رفضت الزواج الشريف فستكونين امرأة غير شرعية.

لم تجب بشيء لانها فطنت الى فكرة ربما كانت دخاناً في الهواء ولكنها قد تنفع.

ـ اعتقد انك ستختارين طريق الزواج لأنك من النوع الذي يرفض حياة الخزي والعار.

ـ لن اكون لا زوجتك ولا شيئاً آخر!

ـ كلام مدهش يطيّره الهواء. انت في قبضتي وتعرفين ذلك. استطيع ان استولي عليك في هذه اللحظة بالذات.

جفلت من تهديده هذا. وترددت قبل ان تقول له ما في ذهنها. نظرت اليه وكان نظره مسلطاً عليها يعرّيها من كل قوة. الا انها ستحاول، فقد تنجح:

ـ هل تعتقد فعلاً انك ستنجو من العقاب لاختطافي؟ الم يخطر لك اني اطلعت صديقاتي وغيرهن على علاقتك بي ومعاملتك لي؟

ضحكت لتظهر له انها صادقة فيما تقول. واضافت:

ـ كثيرون هم الذين يعرفون قصتك معي. خطيبي يعرف وبعض ممرضات المستشفى، وما على الشرطة الا ان تقوم ببعض التحريات لتتبع آثارك. وسيلقى القبض عليك حالما تصل الى اليونان... ستحاكم وتسجن

سنوات وسنوات...

خف حماسها وهي تحاكمه وتسجنه سنوات وسنوات عندما رأته يبتسم لسذاجتها. وبلعت ريقها بصعوبة لتقديرها الخاطىء وفشلها في سبر اغوار هذا الرجل الخارق. قال مبتسماً:

ـ ياطفلتي الصغيرة، انت شفافة كالزجاج. استطيع ان اقرأ افكارك، اذ انك اخترعت كل هذا منذ لحظات.

ـ انت مخطىء. كل ما قلته صحيح. انني احذرك وستندم اذا لم تهتم بهذا التحذير!

ـ محاولتك هذه حسنة، ولكن يبدو انك نسيت وعدك بألاّ تخبري الشرطة اذا انا اطلقت سبيلك. ووعدك لا يفيد بشيء طالما الشرطة تبحث عني الآن. هذه هفوتك الاولى. اما الهفوة الاخرى فهي انك كنت تتوسلين باكية كي اعيدك الى بيتك. فلماذا التوسل اذا كان الكل يعلم بامري والشرطة جادة في انقاذك؟ لست تلك الفتاة التي تتوسل كالجبناء...

صرخت في وجهه:

ـ لست جبانة!

ونظرت اليه كمن يحاول قتله.

ـ كما قلت لك انت جريئة ولزمك الكثير لتتنازلي وتتوسلي الي. وما كنت توسلت الي لو كنت تعلمين ان الشرطة تبحث عنك.

ـ اكرهك. لقتلتك لو استطعت.

ـ الآن فقط. اما في المستقبل فسأغيرك وستختلفين عما انت عليه الآن.

اطبقت فمها وادارت وجهها عنه. ترك الغرفة ثم عاد بعد لحظات بثلاث علب من الكرتون وضعها على السرير وقال:

ـ يجب ان تغيّري ملابسك. لا تستطيعين التنقل في ثوب العرس. اتيت لك بثياب خارجية ارجو ان تعجب ذوقك وبملابس داخلية تعجب ذوقي.

نظرت اليه حانقة.

ـ انت ذهبت لتشترى ملابس... داخلية؟

ضحك وقال ان عملاً كهذا ليس غريباً عنه.

ـ صديقاتي يتوقعن مني هدايا كهذه... أغلاها طبعاً.

رأى ان نظرة الاحتقار والاشمئزاز كانت حقيقية في عينيها. وهذا

اغضبه حقاً ولكنه لم يفعل شيئاً سوى ان يعض على شفتيه.

ـ من الواضح ان نسوتك كثيرات.

ـ عدد لا بأس به. الا تريدين فتح العلب؟

ـ كلا، لا اريد.

مد يده وأمرها ان تفتحها.

ـ لن افتحها. لا اريد هداياك، كما تسميها انت! خذها الى احدى صديقاتك.

اغمض عينيه الى النصف وهدّدها قائلاً.

ـ أطيعيني. واذا كنت تعرفين المزيد عني لن تنتظري طلباً ثانياً.

ـ تعني أمراً ثانياً.

ـ مزاجي لا يتحمل جدلاً تافها ياتار. افعلي كما اقول لك حالاً.

هزت رأسها رافضة. ولكنها خشيت موقفه الذي قد ينقلب الى غضب حقيقي.

ـ لا اريد هداياك.

وصرخت من الألم عندما لوى معصمها وصرخ فيها كالرعد:

ـ افعلي ما اقوله لك والا ارغمتك على ذلك وقد اؤلمك وأهينك.

تأكدت تارا من حدة غضبه، فاتجهت نحو السرير وفكت رباط احدى العلب ورفعت غطاءها.

ـ اخرجي ما فيها. سيفرحك ذلك كثيراً.

اخرجت رزمة في داخلها قميص نوم يبدو شفافاً او شبه شفاف. ورمت بالرزمة على السرير ثم التفتت اليه والدموع تملأ عينيها.

ـ دعني اذهب. لم اتسبب لك في اي اذى، لذا ارجوك، اعتقني.

كان يهز رأسه بالرفض حتى قبل ان تنهي كلامها. تملكها يأس شديد وغطت وجهها بيديها. ولكن قبل ان تبدأ بالبكاء رفع يديها عن وجهها واخذها بين ذراعيه بشيء من الحنان.

ـ لا تكوني حزينة هكذا. صدقيني، المسألة ليست بهذا السوء. اساس حزنك قائم على تفويت فرصة الاكليل عليك وحرمانك من الرجل الذي كنت ستتزوجينه. سيكون كل ذلك في خبر كان عندما نصبح زوجاً وزوجة. وستعرفين حينئذ انه مكتوب لي ان أكون زوجاً لك وحبيباً.

امال رأسها قليلاً الى جنب وربّت خدّها بلطف قائلاً:

- ابتسمي. لا يزعجني اكثر من منظر امرأة تبكي. افتحي الآن علبة ثانية، ولكن افرغي ما تبقّى في هذه.

رأت تارا انه من الحكمة ان تطيعه. اخرجت ملابس داخلية وقميص نوم آخر وتنورة. وطلب منها ان تفتح العلبة الثانية ثم الثالثة. نثرت كل شيء على السرير، فكان هناك فستانان وتنورتان وثلاث بلوزات وعدة ملابس للسباحة او الاستحمام على اليخت. وكل قطعة تحمل ماركات باريس. بعد ان انتهت من التأمل فيها نظرت اليه وقالت:

- لا شك انك غني.

- املك ما فيه الكفاية.

- انك تملك اكثر من اللازم.

اغضبه كلامها قليلاً وحذّرها قائلاً:

- انتبهي. حتى الآن تعرفين الجانب الصالح في...

ضحكت قائلة:

- بل الأصلح...

ثم اضافت:

- اذا كان هذا احسن شيء فيك ارجو ألاّ ارى أي جانب آخر!

تقدم نحوها ببطء دون ان يرفع نظره عنها. فهمت حركته وتراجعت. وكان هو يتقدم وهي تتراجع الى ان توقفت عند السرير.

- انت اردت ذلك. فاما ان اجعلك تفهمين او اني سأهينك.

تناولها بين ذراعيه وضمها بعنف واعاد مشهد العناق بطريقة اسوأ من سابقتيها. كان فيها وحشية لم تعهدها فيه. قاومت بشدة وبقوة ولكن اين ضعفها من بطشه. وفي النهاية كانت تنفذ ما يطلب منها لكن دون ان تتعدى طلباته حدود العناق. اشمأزت من نظرته المألوفة بعد كل عناق من هذا النوع، اى نظرة النصر، نصر القوي على الضعيف.

وبالرغم من قهرها ظلت تغلي حنقاً. وعضت اصبعه الذي كان ما زال يلامس فمها. صرخ من الألم واخافتها نظرته المستهجنة وحاولت ان تهرب الا انه امسك بها من شعرها وشدها كالوحش الى الوراء. وشعرت بألم شديد وصرخت هي الاخرى.

- يالك من... شقية! سأكيل لك الصاع صاعين.

وضع يده على عنقها واخذ يضغط عليه تدريجياً الى ان اتسعت فتحتا عينيها وبان فيهما خوف كبير. اكتفى بهذا ورفع يده عنها وقال بصوت هادىء:

- هذا انذار فقط ضد اية محاولة جنونية اخرى مثل هذه.

- اني اكرهك وسأقتلك اذا سنحت لي الفرصة.

كان وجهها اقرب الى وجوه الاموات لخلوه من الدم اثر هذه المعركة.

- جربي أحد الفستانين.

قال ذلك وجلس على كرسي بجانب المرآة.

- اذا كنت مرغمة على ان اجربه اتركني وحدي في الغرفة.

- لماذا هذا الخجل ونحن مقبلان على الزواج بعد بضعة ايام؟

- كلا. لن تنجح في ارغامي على الزواج ولن يخاطر أي كاهن بذلك!

- قلت اننا سنتزوج في خلال بضعة ايام. جرّبي الفستان الازرق. أحب ان ارى كيف تظهرين فيه.

ظلت واقفة وفي عينيها حقد ظاهر.

- ماذا تجني من القاء الاوامر؟ اخذتني من خطيبي ودمرّت حياتي.

لم تتم كلامها لأن البكاء تغلب عليها.

- ليتني اموت! دعني اذهب. لا تستطيع ان تتقبل امرأة تكرهك وتتمنى ان تراك ميتاً عند قدميها!

- قلت لك ان شعورك سيتغيّر ولن تكوني كما انت الآن.

مد رجليه الى الامام مشيراً بذلك الى انه باقٍ، ثم اضاف:

- كفاك تفكيراً في الماضي. تطلعي الى المستقبل.

ادارت اليه ظهرها وبدأت برفع فستانها.

- ليس لي اي مستقبل ولا ارى نوراً في حياتي وانا سجينتك.

نهض وقال انه سيعود بعد خمس دقائق ليراها في الفستان الازرق.

اقفل عليها الباب وسمعت اصواتاً في الخارج. ربما كان يصدر تعليماته الى افراد اليخت اذ ان اليخت بدأ يتحرك. ورأت من كوة غرفتها ان اضواء الفنادق تبتعد الى الوراء. وخرج اليخت من المرفأ مما يدل على ان اجراء معاملات السفر قد تمّ. هذه لحظة انتقال بين ماضيها ومستقبلها ولحظة

كئيبة ويائسة في حاضرها. الا توجد وسيلة للهرب؟ قد يأتي يوم تنجح فيه. ولكن قد يحدث الكثير الى ان يحين ذلك اليوم.

وبدأت تبكي، الا انها توقفت قائلة لنفسها ان البكاء لا يفيدها، واستبدلت الدموع بالعزم على مقاتلته بكل الطرق الممكنة وفي كل الظروف. وسيأتي اليوم الذي يلعن فيه الساعة التي جمعته بها.

خلعت فستان العرس ووضعته على السرير. وقارنت بين شعورها منذ بضع ساعات مضت عندما لبسته بمساعدة سو وشعورها الآن وهي تنزعه. كانت حياتها هانئة سعيدة. كلها ورود. وجودها على زورق اليوناني الغريب لا يصدَّق، وفوق كل ذلك هي سجينة. بينما يتخبط خطيبها في الظلام ليعرف ما حل بخطيبته. انه يلاحق الشرطة لتحلّ لغز اختفائها او يلوم جايك على إهماله. لكنها طردت من فكرها كل هذا وركزت قواها جميعاً على اشياء اكثر الحاحاً: ايجاد طريقة للهرب.

كانت ترتدي الفستان الازرق عندما عاد ليون الى غرفتها. تفحص كل شيء فيه ووجده كاملاً.

- جذّاب! اللون يليق بك تماماً وينسجم مع عينيك. والآن ضعي ثوب العرس جانباً الى الأبد او يمكنك القاؤه في البحر.

- القاؤه في البحر؟

هزت رأسها رافضة:

- كلا! لن ألقيه.

- اذن سأرميه انا بنفسي.

اسرع نحو الفستان، فستان آمالها، وحشاه في احدى علب الكرتون وحمل العلبة. وقال قبل ان يخرج:

- اظن انك جائعة الآن، وستتناول طعام العشاء في الصالون. ولكن اذا حدث ان ملت الى اثارة أحد مشاهدك الصاخبة فان بحّارتي وكلهم يونانيون لن يصغوا الى تذمّرك او شكواك حسب تعليماتي لهم. ولا تأملي في اية طريقة للهرب.

- بل هناك طريقة واحدة... اقذف بنفسي في البحر.

قال ببرود مطلق:

- سننتشلك، وان حاولت ذلك، فسأصفعك. وبعد قليل سيأتي احد

البحارة ليعلمك بموعد العشاء، في حوالي عشر دقائق. اسمه كارلوس وسيرافقك الى الصالون.

- لن اتناول اي طعام.

- ستفعلين ما يقال لك.

خرج غاضباً واغلق الباب بالمفتاح.

www.elromancia.com

٤ ـ وقت للدموع

وقفت تارا امام المرآة وكادت الدموع تنهمر من عينيها الا انها تماسكت نفسها. لولا هذا اليوناني لكانت الآن تتناول طعام العشاء مع ديفد وبعد العشاء...

تنهدت وفكرت في سيدها هذا وفي قولها انها تتمنى ان تراه جثة هامدة عند قدميها. هل يمكنها تشويهه؟

دهشت لهذه الفكرة الشيطانية والعملية ايضاً، وسيسهل هربها اذا هي تمكنت منه.

سمعت قرعاً على الباب وعندما فتح رأت امامها يونانياً قصيراً اسمر اللون، ابتسم لها بتكشيرة زاد في بشاعتها سنّ من ذهب في فمه. انتفضت عندما سمعته يقول:

ـ يقول المستر ليون ان ارافقك الى صالة الطعام.

شعرت بالجوع ورأت ان لا فائدة من بقائها هكذا حتى لو كانت وحدها.

كانت الصالة من احدث ما يمكن. جدرانها البراقة مصنوعة من خشب الصنوبر واثاثها مثبّت ليصمد ضد تأرجح اليخت على سطح الماء. اما الموائد فسطحها من الزجاج المحاط بإطار من الفضة.

وصلت الى انفها رائحة الطعام الشهي. وكان ليون انيقاً جداً في لباسه البحري الابيض والازرق. كان منهمكاً في تفحص بعض الادوات واشار بيده الى الخادم كي يبتعد عندما رأى تارا قادمة. دعاها للجلوس وسألها اذا كانت تحب ان تتناول مقبّلاً قبل العشاء. ولكنها رفضت بلطف، وعرض عليها شراباً خاصاً وكانت على وشك ان ترفض ولكنها امتنعت عندما رأت نظرته وانطباق شفتيه. هذه اشارات تدل على بدء هيجانه واصبحت تفهمها الآن.

وككل سيد مهذب سحب كرسيها قليلاً الى الوراء. وجلست وهي تنظر باعجاب الى الشمعدانات الفضية والى هندسة باقة الازهار. ثم قالت بصوت لاذع:

ـ لقد جهزت كل شيء.

ـ لعشاء رومانسي في البحر؟ نعم، اردت ان يكون كل شيء جاهزاً. الياس الذي لم تلتقي به بعد، سيأتي بعد لحظة، هو الذي اشترى الازهار ورتبها، اما الشموع...

ـ اما الشموع فكانت في العنبر تحتفظ بها لمناسبات مثل هذه. اعتقد ان عشرات النساء المنحلات كن ضيفاتك على هذا الزورق.

ـ منحلات؟ لا تسميهن منحلات. كنت أقيم حفلات خاصة لصديقاتي.

قرّب كرسياً منه ومدّ رجليه تحت الطاولة فوضعهما عليه ثم صفّق. وعلى الفور حضر رجل ليتلقى الطلبات.

ـ ستأتي بالدور الاول من الطعام يا الياس، وقل لدميتري ان يجيء السلطة.

ـ كم عدد رجال الطاقم على هذا اليخت؟

دهشت تارا من نفسها ومن قبولها لهذا الوضع العجيب التي هي فيه الآن.

كانت جائعة تنتظر الطعام بفارغ الصبر. وودّت لو كانت برفقة رجل آخر غير هذا الرجل البغيض.

- ثلاثة فقط. هذا العدد أقل من العدد اللازم ليخت من هذا الحجم، الا اني حصرت العدد برجال أثق بهم. ولذا لن يتفوه اي منهم بكلمة عما حدث اثناء هذه الرحلة. ودميتري هو الرجل الذي كان يسوق التاكسي الاول.

- هو اذن. آه لو فكرنا في ذلك...

- كيف كان يمكنكم ان تشكّوا؟ كنتم حجزتم سيارات لحفلة الزفاف ومن المستحيل ان تعرفوا ان احد السّواق من خدمي.

لم تعلّق على ذلك واخذ دميتري يقدم السلطة بينما الياس ويقدّم السلمون المدخن.

وكان دميتري يتكلم مع ليون باليونانية ولم يعجب هذا تارا التي قالت دون تفكير وبحدّة:

- اظنكما تتكلمان عن نجاحكما الباهر في عملية اختطافي.

التفت الرجل فنظر اليها بعينيه السوداوين ثم الى رئيسه:

- كنت فقط أنفّذ اوامر سيدي.

كان صوته هادئاً وانكليزيته تلك الانكليزية الصحيحة التي استعملها وهو يسوق التاكسي.

- لا بأس يا دميتري...

واشار ليون اليه بيده كي يذهب. خرج دميتري وخرج معه الياس الذي لم تفارقه ابتسامته الغريبة.

يالهم من طغمة كريهة من اليونانيين! كلهم محتالون! وبالوحدة ذاتها. سألت ليون:

- الا يحسبون للقانون حساباً؟

- انهم يطيعون الاوامر مثلما ستطيعينها انت عندما آمرك بالاّ تعيدي مثل هذا الكلام امام أي من الخدم. أولاً لأنه غير لائق بك، وثانياً لاني لا اريد ان تنزل كرامة زوجتي في اعين غيري من الناس. افهمت؟

ردّت عليه والغضب بائن في عينيها:

- انت آخر من أحطّ من كرامتي امامه.

كانت احدى يديها على شرشف الطاولة الابيض. وقبل ان تفطن الى حركة يده ضربها على مفاصل اصابعها بشفرة السكين. كانت الضربة شديدة فآلمتها كثيراً وبكت بسبب صدمة المفاجأة والألم معاً.

- إياك وهذه الهفوات. احفظي لسانك اذا اردت تجنّب العقاب.

نظر الى صحنها ثم الى وجهها فقال آمراً:

- امسحي عينيك وكلي السمك.

اخرجت منديلاً صغيراً مطرزاً كانت سو قد دسّته في كمّ ثوبها وهي تلبسها اياه استعداداً لحفلة الزواج، قائلة لها جادة ومازحة معاً انه كثيراً ما يحدث ان تتأثر العروس بموقفها. وان دمعة تترقرق من عينيها عادة وعليها ان تحتفظ بالمنديل في يدها.

ولكنها بدلاً من ان تمسح عينيها بالمنديل اخذت تبكي اكثر فاكثر. اثار عملها هذا غضب ليون الذى صرخ قائلاً:

- ما بك بحق السماء؟ اريد ان اعرف. الا تكفّين عن البكاء؟

- هـ... هناك عدة اسباب تجعلني أبكي.

تبلل منديلها الصغير فاستعملت فوطة المائدة. الا ان ليون اوقفها على قدميها واخرج منديله ومسح وجهها به. وبكل بساطة سمعت صوتها يقول:

- شـ... شكراً.

نظر اليها بعطف وربت على وجنتها.

- اجلسي وعودي الى طبيعتك اذ ان الياس قادم الآن.

نظرت تارا اليه طويلاً متسائلة عما اذا كان ما رأته على وجهه حناناً وعطفاً أم انه ضباب دموعها الذي حجب عنها قسوة وجهه. ولكن من المؤكد ان عملية تجفيف دموعها بمنديله وبيده وبهذا اللطف تناقض تماماً شراسته وقسوته منذ دقيقة. شعرت بلطفه وحنانه الحقيقيين وهذا شيء لم تتوقعه منه على الاطلاق.

كانت تأكل وهي صامتة. وبعد برهة رفعت نظرها اليه وسألته:

- اين ثوب العرس؟

- ما اهمية ذلك؟

- لا اهمية كبيرة، ولكني ارغب في الاحتفاظ به.

- ولماذا تحتفظين به طالما لن تلبسيه في حفلة زواجنا؟

صدمها صوته القاسي الحازم وكأن لطفه السخي الذي ادهشها قبل لحظة لم يكن.

- لا ادري سبباً لذلك.

اطمأنت لانها لم تتعلثم في كلامها بسبب البكاء وتابعت تقول:

- لا استطيع شرح ذلك بوضوح، الا اني احب ان احتفظ به.

- هذا شعور مريض. فستانك الآن يسبح مع السمك. كان جميلاً بحد ذاته ولكنكِ انت التي جمّلته. لماذا اخترت هذا الزي؟

تكلم بدون اي اعتبار لشعورها فأجابته بغيظ كي لا تبكي:

- اني احببته وهذا يكفي! وللفتاة الحق في ان تختار الزي والشكل اللذين تريدهما لثوب عرسها!

- انت احببته؟ يجب تثقيف ذوقك من جديد لأنه خالٍ من اي تصوّر. قد تبدين في مظهر ملكة اذا لبست اللون والزي الملائمين لملكة.

وفجأة نظر الى شعرها كأنه يفطن اليه للمرة الاولى:

- يجب قصّ شعرك. انا لا أميل الى الشعر الطويل. هل كان خطيبك يغمر وجهه فيه؟ انا أفضّل ان يحس وجهي بما هو أنعم من الشعر.

واخذت عيناه تلتهمان بنظرتها كل جزء من جسمها.

- انت بهيم!

- انتبهي ياتارا! منذ لحظة ضربت مفاصل يدك ولكن الأمر سيختلف في المرة القادمة.

اغتاظت منه كثيراً ولكنها لم تخاطر بأن تترك المكان. وبعد صمت دام بعض الوقت سألته:

- من طريقة كلامك افهم انك تُلبس نسوتك حسب ذوقك انت. هل انا دمية متحركة اخرى؟

اعجبه كلامها. قال:

- يعتبر الناس ذوقي في منتهى الكمال. اما كون نماذجي دمى... فهذا صحيح الى حد ما، انا احرك هذه الدمى وهي ترقص لي.

كادت تقفز من مكانها بسبب غطرسته الفاحشة واعتزازه بنفسه.

- لن تراني ارقص لك. لا ادري ما نوع النسوة اللواتي لك علاقات بهن

ولكن تنقصهن الجرأة الكافية!

سرّها سلوكه الهادىء. فهي تستطيع الآن ان تخفي عنه جانبها الاضعف وان تظهر له الجانب الاقوى الذي تمرّست فيه بصفتها ممرضة في المستشفى.

- انا اوافقك. تنقصهن الجرأة. ولا تنقصك انت بالرغم من دموعك الغزيرة. وانا متأكد من اننا سنتفاهم بشكل مدهش اذا اعترفت بأنك ربحت اكثر مما خسرت بسبب اختطافك.

كانت عيناه القاسيتان لا تحيدان عنها وهو يقدم لها سلّة الخبز:

- الخبز طازج، من عمل كارلوس، وكارلوس هذا رجل ماهر في كل شيء.

- بما فيها اعمال سيّده الشريرة!

- ما لم تضبطي لسانك السام هذا سأضربك على مفاصل يدك. لا اريد ان اكرر تحذيري لك اكثر من مرة.

كانت السكين في يده وكانت يدها على الطاولة. فسحبتها بسرعة البرق وشدّت على اسنانها من الغيظ عندما سمعته يضحك.

- كم بقي لنا من الوقت لنصل الى جزيرتك؟

- بعض الوقت. لي صديق كاهن في الجزيرة وهو الذي سيزوجنا.

انقذت حياته يوماً وهو يعيش في عرفان جميل دائم لي. ولكي يؤكد شكره وامتنانه فانه مستعد تلبية كل طلباتي.

- لا اصدق انه سينفذ طلبك هذا.

- بل انه سيزوّجنا ولن يسأل اي سؤال.

- وهذا مجرم آخر في ثوب الصلاح.

كانت تارا مع كل لحظة تمر تكسب مناعة في نفسها وتزداد ثقتها كأن قوة داخلية تعينها على مواجهة محنتها الحاضرة. وتمنعها من الانهيار والاستسلام لليأس والبكاء وكان ملجأها الوحيد تحتمي به من شر هذا اليوناني الصلف.

- انه رجل متعبد.

- ولكنه غير مهتم بخلاص نفسه.

ضحك ليون وقال:

ـ ارى ان لك حب التنكيت. هذا دليل على تفاهمنا وستكون لك قدرة عظيمة على الترويح عن النفس اقوى من قدرتهن كلهن مجتمعات.

كان ما يزال يضحك وشكّت في انه يسخر منها. كانت عيناه بدون تلك القسوة المعهودة فيهما، وشفتاه مسترخيتين. كما كان هناك تجويف بسيط في زاويتي فمه، مما جعلها توافق رأي سو القائل بأنه بهيّ الطلعة. ورأت تارا ان لوجهه جاذبية خاصة على بعض النساء، تلك اللواتي يحببن الاستسلام.

واستخلصت تارا من تحليل وجهه ان كل ما فيه يدلّ على رجل لا يقهر.

وكما قارنت بينه وبين ديفد سابقاً قارنتهما الآن ولا تدري لماذا رغم الفارق الكبير بين الاثنين. فديفد لطيف حنون لا يفرض نفسه بالقوة، وكان يترك لها حرية التصرف. كان عناقه لطيفاً وفيه احترام للشخص ورقة بعيدة عن كل اذية، بعكس هذا اليوناني المتعجرف المتعالي الذي يجد لذه في ايلامها إن في حديثه معها او في عناقه او في فرض نفسه عليها واجبارها على الموافقة.

قطع عليها حبل افكارها وسألها وعلى شفتيه ابتسامة تهكّم:

ـ ما هذا الحذق الذى فيك؟

ـ كنت افكر في مدى احتقاري لك!

ـ ومع ذلك وعدت بأن تتزوجيني.

ـ لكنني لم افكر ابداً في الزواج منك.

ـ انت كاذبة. في تلك الليلة عندما وعدت بأن تخبري خطيبك ان زواجك به خطأ ولو كان الوقت متأخراً بعض الشيء.

ـ كنت... كنت تحت تأثير... ايه...

ولكي لا تعيد على مسامعه تأثير تلك الامسية في المستشفى تناولت كأس الماء الطبيعي وابتلعت ما فيه دون توقف.

ـ تحت تأثير الحب...

ـ قذارة!

ـ لم ارد منك ان تتمسكي بكلامي حرفياً. انت وقعت تأثير الرغبة، تحت تأثير حبي. كان كل مشتهاك حينذاك هو ان تكوني معي.

ـ اوه... انت لا تطاق، وانا اكرهك!

ـ لأني قلت الحقيقة؟ انت جبانه ياتارا، ولا تملكين الشجاعة الكافية لتعترفي بأنك مغرمة او موله مثلي او مثل اي انسان آخر.

ـ اخرس... اهدأ!

وضعت يديها على اذنيها وتمتمت.

ـ لا اريد ان اسمع... لا اريد ان اسمع!

تركت الكرسي واسرعت نحو الباب. ولكنه كان قد سبقها اليه وسدّ الطريق عليها، ثم جذبها اليه بعنف وضع فيه قوة عضلاته واخذ يعانقها.

كانت تقاوم لتتنفس. بهذا كان يريد ان يبرهن على سيادته وتفوقه. كانت يداه تتحسّسان طريقهما وحتى يفرح بانتصاره عليها أبعدها عنه قليلاً وتفرس في وجهها.

انه يريدها ويريدها بكل قواه. اغمضت عينيها عالمة بما سيحلّ بها. لا تريد ان تبكي او ان تتوسل كي لا تكشف عن ضعفها. بينما كانت القوة اللازمة لمقاومته نائمة فيها لم تسعفها بشيء.

قال بصوت متهدج:

ـ اعترفي! اعترفي بأنك تريدين الزواج مني... وبأنك كنت دائماً ترغبين في ذلك حتى بعد فراقنا في ذلك المساء! كان يجب ان أروضك تلك الليلة لأبرهن على رغبتك التي تنكرينها.

ـ اعترفي بأنك تريدينني سابقاً وحاضراً.

قال بصوت مبحوح:

ـ اعترفي.

فقدت كل مقاومة كي تتحدّاه... وفقدت كل رغبة في ذلك. انها مستعدة الآن لتستسلم بأي شكل من الاشكال ولكل أمر يصدره وهو يعلم

ذلك، مستعدة لتصبح زوجته وسمعها تقول ذلك.

اكتفى بهذا وتركها، وبعد ذلك سمعا الياس ودميتري يتكلمان في الخارج. طلب اليها ان تجلس وقال:

- ستتزوج عما قريب ياتارا وستحصلين على على ما تشتهيه نفسك.

٥ - الفريسة

اق الى غرفتها كما كانت تتوقع. ولكن اثناء الفترة التي مرت بين ما قالته في الصالة بأنها تريد ان تتزوجه وبين الانتهاء من تناول الطعام عادت تارا الى رشدها. اقرت بأن اليوناني بخبرته الواسعة بالنساء قد يشعل فيها انفجاراً يدمرها تدميراً تاماً. استفاقت تارا وعاد اليها منطقها وسلامة تفكيرها. وفيما هما ينتظران القهوة في غرفة الجلوس كانت قد اتخذت جميع الاحتياطات لاعلان الحرب عليه مرة ثانية. فاستعادت رزانتها وكرامتها. اقرت داخلياً بضعفها امام وسائله واساليبه ولكنها عزمت بكل جد على الا تقع فريسة له. وستحاربه على طول الخط وتتحكم باندفاعاتها العاطفية قدر الامكان.

كان وجهها شاحباً ولكنها كانت متزنة عندما فتح الباب. ورأت ليون

www.elromancia.com

واقفاً بقامته الطويلة ولون بشرته الاسمر وعينيه السوداوين النفاذتين وابتسامته التي لا تخلو من دلائل النصر والتهكم.

- لست جاهزة لاستقبالي؟

كان كلامه هذا طلباً اكثر منه استفهاماً.

- هل تريدينني وصيفاً لك يا سيدتي العزيزة؟

رفع حاجبيه وهو يسألها ثم اغلق الباب. وبالرغم من تصميمها على المقاومة تأثرت بوجوده المغناطيسي. ماذا عمل لها؟ كيف يمتلك اي رجل مثل هذه القوة؟ هل كل امرأة يلتقي بها تقع ضحية له؟

- انا . . . انا غيرت رأيي في الزواج منك.

دهشت لهدوئها وهي تتكلم.

- لا اعرف لماذا اتيت الي، لكن. . .

فقال بصوت منخفض:

- تارا، كفاك كلاماً طفولياً. آن الآوان لكي تعترفي بالأمر الواقع بعد كل الذي حصل هناك منذ ساعة. لو اني حملتك الى السرير في حينها لكنت ملكاً لي الآن.

- ملك لك؟ النساء اليونانيات ملك لأزواجهن، اليس كذلك؟

اجابها بهدوء:

- المتزوجات منهن طبعاً، وهذا ما يجب ان يكون.

- من منا يتظاهر بالبعد عن الحقيقة؟ انت تعرف الغرب حق المعرفة كما تعرف اليونان. لكن الأمر يختلف في الغرب.

- هل تتوقعين المساواة بين الزوج والزوجة؟ لا مساواة بيننا يا تارا. انا سيد بيتي وكل شخص. . . حتى امرأتي. . . يعرض نفسه للخطر اذا تناسى ذلك.

تكلم بدون هياج ولكن بلهجة السيد. ولكنها قالت متعبة:

- ارجوك، اذهب. اريد ان انام.

- هل انت متعبة؟

لم يبد عليه وهو يتكلم انه كان متأثراً او غير متأثر ولم يفصح وجهه عن اي شعور داخلي.

- نعم، متعبة.

- تكونين متعبة ايضاً لو كنت في شهر العسل؟

لم يمض على اختطافها من خطيبها الا بضع ساعات. اخذت تبكي مرة اخرى. كانت هذه الليلة. . .

- اذهب عني! اني اكره وجودك هنا، وجهك، كبرياءك اليونانية الفاسدة. اخرج! اخرج! ويدل ان يخرج مشى نحوها وهي تتراجع حتى وقفت عند السرير.

- هل خاب ظنك؟ هل الأمر كذلك؟ لكن لا لزوم لكل هذا.

قاطعته مذهولة:

- خاب ظني؟

- اي انك محرومة. . . من رفيق يطارحك الغرام منذ اسابيع. مررت بهذه المحنة مرة او مرتين. يشعر الانسان انه مهزوم عندما لا يحصل على ما يشتهي.

اقترب منها قليلاً ثم توقف. فقالت لتكسب بعض الوقت:

- يبدو انك تعرف.

- طبعاً اعرف. والنساء لا يعرف لهن قرار. كثيراً ما يوافقن ومن ثم يرفضن. طبعاً، كل رجل يعرف قيمة نفسه يقبل هذا الرفض على انه تحد له، ولكن احياناً لا قيمة لتحد من هذا النوع.

فهمت من نظرته اليها انه يهزأ بها ولذا قررت ان تلزم الصمت.

واخذ يقترب منها على مهل.

- كما قلت لك، لا لزوم لأن تشعري بالحرمان. تأكدي من اني سأكون احسن بديل لعريسك. وبالفعل، في سرك تفضلينني عليه.

- انت متغطرس ومتكبر ووثني!

كان يلامسها تقريباً وفاحت منه رائحة حلاقة طرية كأريج الصنوبر بعد المطر. رفع يده وتوقعت ان يصفعها الا انه رفع ذقنها الى اعلى وعانقها.

- تبدين جذابة جداً عندما تغضبين لذا اريد ان اطيل مدة غضبك. ومع ذلك اريد ايضاً ان اذلّك. انت مثيرة يا تارا كما كنت في اول لحظة وقعت عليك عيناي.

وقالت بعد فترة:

- ارجوك، اذهب.
- انت وعدت ان تتزوجيني ولا ارى ضرورة للانتظار ويمكننا ان نبدأ شهر عسلنا الآن...
- كان ذاك منذ ساعتين عندما وعدتك بالزواج.

اخافتها نظراته التي كانت تأكلها اكلاً وهي تجول من رأسها الى عنقها وصدرها.

لكنها اضافت:

- غيّرت رأيي. لن اتزوجك ابداً!

احمرت عيناه وزفر من انفه فذكرها بحيوانات مفترسة تتأهب للهجوم على فريستها التي ترتعد من الخوف. كيف وقعت في هذا المأزق؟ هذا يحدث للغير فقط ويقرأ الناس عنهم في الجرائد. يشفقون عليهم ثم يلقون بالجريدة جانباً وينسون كل شيء. ولم تحلم تارا مطلقاً ان هذا سيحدث لها ذات يوم.

ولا بد ان الناس يقرأون عنها في انكلترا، يقرأون عن العروس المختطفة وهي في طريقها الى حفلة الزفاف تحت عناوين ضخمة على الصفحات الأولى. سيطالعها القراء باهتمام كبير وهم يتناولون طعام الافطار. وتصورت ديفد الذي يكون قد جن من الحزن، ولكنها سرت لأنها وحيدة لا اهل لها.

- ستتزوجينني وستسرين بهذا الزواج.

طرد صوت هذا الرجل من افكارها كل شيء... الناس والجرائد وديفد وحل محلها، وسمعته يدللها ويغنجها بنعومة:

- تشجعي واسترخي وتقبلي ما اقدمه لك، وسترين ان متعتك معي ستفوق بكثير متعتك مع الرجل الذي كنت ستتخذينه زوجاً لك.
- اتركني ! اذهب! لا استطيع التفكير! الا ترى ان قلبي تحطم؟
- القلوب لا تتحطم. بحق السماء، تخلّصي من تعلقك بحب العذاب! هذا من وحي خيالك فقط!
- لا قلب لك وهذا هو سبب عدم فهمك لوضعي.
- لكني افهم كيف ساجعلك تنسين...

وبحركة خاطفة ضمها اليه وارقد وجهه على وجهها. جمعت كل قوتها

لتقاومه ومع كل بادرة للمقاومة كان يتشدد في عناقه. وتسارعت نبضات قلبها.

- ما زلت تقاومين، ما هذه القوة التي فيك؟ وكلما زادت مقاومتك كان انتصاري افضل.

وعندما رفع عينيه رأى في وجهها...

احمرار الخوف واضاف:

- قلت انك غيرت رأيك بصدد زواجك مني، ولكنك لن تغيريه، اليس كذلك؟

في هذه الاثناء لمست يداه شعرها فشعرت بالفرح يسري في كل جسمها. نسيت كل شيء واصبح ديفد بعيدا عن فكرها بملايين السنين...

واعاد ليون سؤاله:

- هل غيرت رأيك يا قطتي الصغيرة؟

رفعت رأسها واجابت بصوت لا يخالطه الشك:

- كلا يا ليون، لم اغير رأيي في زواجي منك.
- اتريدين ان تتزوجيني؟ قولي.
- اريد ان اتزوجك.

كان الآن يلتهمها بنظراته.

- جميلة انت حقاً!

وهنا تصورت تارا انها في موقف يشبه تماماً موقف غيرها من النساء امامه. قرفت من هذا المنظر. فكم عدد النساء اللواتي كان ينظر اليهن هكذا؟ تصورت تلك النسوة وهن واقفات امامه كما هي واقفة الآن، يسيطر عليهن وعلى

حواسهن بقوة الرغبة. وفجأة تراءى لها ديفد اللطيف، وتراءت لها غرفة النوم في الفندق حيث كانت ستذهب اليه بارادتها لو انها تزوجت به.

ارتجف جسمها ... وهطلت الدموع من عينيها بعد ان حبستها كل تلك المدة.

- ما بك؟

كان بكاؤها هذه المرة نحيباً جنونياً. هزّها ليون من كتفيها وصرخ في وجهها:

- استجمعي قواك. تحملت الكثير ولكن هذا افضل شيء. منذ لحظة كنت سعيدة والآن تبكين كالبنت الصغيرة.

فركت عينيها ورأت وجهه كأنه في ضباب. لاحظت ان هياجه لم يعد كالسابق، فقد خمد، لكنها قد تكون مخطئة. وعندما تكلمت كان صوتها ناعماً ذا نغمات حلوة تماماً كما كان ديفد يحب ان يسمعه:

- الم تفهم موقفي بعد يا ليون؟ كان من المفروض ان يكون اليوم بداية شهر عسلنا انا وديفد، الشهر الذي لن ينساه كل محب طيلة ايام حياته مهما تبع ذلك من ملذات او احزان.

كانت عيناها الدامعتان الجميلتان تتوسلان اليه.

- وبدلاً من ان اكون معه في اول ليلة من شهر عسلنا الذي كنت انتظره بفارغ الصبر اراني هنا في قبضة رجل متسلط لا يحبني. رجل حوّل يوم زفافي الى سواد ويأس وشقاء، رجل حرمني حتى من فستان عرسي الذي رماه في البحر... هذا الفستان الذي تحافظ عليه كل امرأة كما تحافظ على كنز. وهذا شيء لا تستطيع ان تفهمه انت يا ليون...

خنقها البكاء ولم تستطع متابعة كلامها. ولكنها قالت بعد فترة:

- لن اكون صادقة اذا قلت انك لا تغريني وتغويني وتجبرني على قبول او قول اشياء لا اعنيها... مثل... مثل قبولي بالزواج منك.

ونظرت متوسلة مرة ثانية الى وجهه الذي كان عابساً الآن ولكن خالياً من القسوة. ولاحظت عصباً في عنقه يخفق كأنه يتأثر بالكلام او يبلغ ريقه. وتابعت حديثها:

- هل تصدق اني جادة عندما اقول اني اريدك زوجاً؟ انا احب شخصاً اخر. كلا، لا تغضب، اتوسل اليك الا تغضب من جديد. ليست لي

القوة الكافية لأتحمل. لم اعد اتحمل. الا ترى ذلك؟

اطمأنت قليلاً عندما رأت وجهه يدل على زوال غضبه. كان يصغي اليها بكل انتباه.

- ان قلبي يتحطم سواء آمنت بذلك ام لم تؤمن. هنا، هنا يا ليون! انه يؤلمني...

دلت على قلبها باصبعها وظل ليون مسحوراً بمشهد اصبعها المرتجف وهو يلمس صدرها. وتوسلت اليه ثانية:

- لا تؤذني اكثر من ذلك. ارجوك. اتركني واذهب عني، اذا كانت لك ذرة من الشعور.

وقف وتناول عباءة خفيفة ساعدها على لبسها. لم تدر ما تقول من شدة الدهشة. استدارت بعد ان ألبسها آياها واخذ يرتبها على جسمها. وضع يديه على كتفيها بكل لطف ونظر في عينيها اللتين ما زالتا تدمعان. لم تفهم ما في عينيه السوداوين. كل شيء في هذا الرجل غريب. مد اصبعه برشاقة وازال دمعة عن وجنتها وقال:

- استريحي قليلاً اذا استطعت يا تاراً، وآمل ان تكوني احسن غداً. ليلة سعيدة يا طفلتي، وحاولي الا تبكي.

فتح الباب وخرج تاركاً اياها متعبة، ضعيفة وفي حالة عقلية كانت تفضل عليها الموت.

لم تنم تلك الليلة. وبالرغم من حزنها وتعاستها كانت تتوقع ان يسوء وضعها اكثر من ذي قبل. وليون الذي ما زالت تعتبره وحشاً مفترساً لم يحاول الاعتداء عليها بل توقف عند حد لم تكن تتوقعه. كانت طيلة الليل تفكر على صوت محركات الزورق بعدة اشياء. منها ما يتصل بعضه ببعض ومنها ما ليس له معنى. الا ان شيئاً واحداً كان واضحاً كل الوضوح وحيرها كثيراً هو سلوك ليون.

* * *

تحولت بأفكارها الى ما كان سيحصل لولا اختطافها. فكرت في حفلة عقد القران وقرع اجراس الفرح وتجمع النساء والاطفال ليشاهدوا العروس الجميلة وذراعها في ذراع عريسها. هذه اجمل ساعة في الحياة عندما يأتي الجميع ليشاهدوها هي لا غيرها في يومها المجيد، اليوم الأوحد الذي تعيشه العروس مرة واحدة في العمر. تصورت الموائد الممدودة في احسن فندق بالمدينة. تصورت المصور وهو يأخذ صورتها بينما تقطع كعكة العرس. وسجل معاملات الزواج الذي كانت ستوقع اسمها فيه. تبادل الانخاب والتهاني والتمنيات بالسعادة والرفاه والبنين. تصورت سو تساعدها على تغيير ملابس العرس الى ملابس سفر. والسيارة التي كانت تنتظرهما لتأخذهما الى المطار حيث يستقلان الطائرة الى اسكوتلاندا... لقضاء شهر العسل هناك... فكرت في ديفد وفي حالته النفسية وافكاره وقلقه. هو الآخر قد يكون متمدداً مثلها في فراشه يتصور ما كان سيحصل. في تلك اللحظة صرخت تارا تناديه في ظلام سجنها... ارادت ان تقول له روحاً لروح انها تحبه وانها ستحارب لتعود اليه.

والشيء الآخر الذي كان واضحاً ايضاً هو مشكلة الهرب. لأنها تعتقد ان ليون لن يحتفظ بها سجينة مدة طويلة. وقد بدأت تقبل بفكرة زواجها منه وتعرف انه اذا خيرها بين ان تكون زوجته او ان تكون امرأته سراً فانها ستقبل بالخيار الأول. وبدا لها الآن انه مكتوب عليها ان تتزوجه... ومع ذلك فانها ستهرب. وملاذها الأمل في ان تستطيع الهرب قبل الزواج ولكن املها هذا لا وجود له نظراً لأساليبه المنيعة التي يستعملها لابقائها في قبضته.

اتى صباح اليوم التالي ووجدها تنتظر. عبس عندما نظر الى وجهها.

- انك لم تنامي.

كان بلباس بحري جميل وسترة زرقاء عليها صورة مرساة عند جيب الصدر. نظرت اليه تارا ولم تستطع التوفيق بين هذا الرجل الانيق الهادىء الواقف امامها وبين الوحش الآخر فيه.

- كلا! ومن الطبيعي الا يغمض لي جفن.

رأت شيئاً يتحرك في عينيه وعصباً يخفق في عنقه ولكنها لم تحاول تفسير ذلك.

امسك بيدها وقال:

- في اليونان لنا قول مأثور... وتعرفين ان قدماء الاغريق كانوا فصحاء في ايامهم.

ظلت تنظر اليه وهي لا تفهم اين اختفت غطرسته وسخريته اللتان كثيراً ما اذلّتاها.

- ما هو هذا القول؟

- نتشاجر احياناً ثم نتوافق. فلنتوافق كلانا يا تارا فنرتاح.

ارتعشت شفتاها لهذا التغيير المفاجيء وللطف عينيه واقتراحه الرقيق. انزاح عن صدرها شيء من تعاستها بسبب كل هذا.

- انا... اعني... طبعاً اذا كان هذا ما تريد.

- هذا ما اريد. تأكدي من ذلك. هل نختم ذلك بخاتم العناق؟

عانقها ولكن عناقه هذه المرة كان ناعماً ولطيفاً وكله رقة.

شعرت بشيء يؤلمها في صميم قلبها ولم تعرف له سبباً. واحست ان بامكانها ان تتقرب اليه لو انها التقيا في ظروف غير هذه.

- لا افهمك. انت مختلف تماماً هذا الصباح.

رأت عينيه تفكران ثم تعبسان. كان في صراع مع احساساته المتناقضة.

- لأول مرة في حياتي لا افهم نفسي يا تارا.

بدا غاضباً من نفسه. وقال منزعجاً:

- هل انت جاهزة لتناول الفطور؟ ولا تقولي انك لا تشعرين بالجوع.

وحذرها بلطف:

- والا اجبرتك ان تأكلي سواء شئت ام ابيت.

رافقته طائعة. وارتاحت لهذا التحول الذي جعلها تشعر لأول مرة بانها في امان.

لم يغير ليون موقفه وبقي مخلصاً لوعده. وكان كل ليلة يتمنى لها ليلة سعيدة ويتركها مطمئنة. واحياناً كان ينظر اليها منتقداً حزنها وكآبتها اللذين لم يختفيا بعد، ومرة غضب لأنه كان يريدها ان تبتسم. فكانت تبتسم احياناً وتقول ان الابتسامة لا تغير شيئاً من حالتها او شعورها.

- انت عنيدة يا تارا. واياً كان رأيك في قولي، فقد انقذتك من زواج كان سيتحول الى كارثة.

- انت لا تعرف الشعور بيني وبين ديفد.
- انا اعرف اي رجل يعجبك.
- لن تكون انت هذا الرجل في كل الأحوال.
- سترين كيف ان زواجنا سيعطيك لذة لا تتصورينها.

قالت ببرود:

- ارى انك لم تتغير.
- فيما اتغير؟

كانا واقفين على ظهر اليخت في لباس السباحة.

- ظننت انك قد تعيدني الى بيتي.
- لا تحلمي بذلك. انا اريدك وتحملت الكثير لأحصل عليك. انا من نصيبك وانت من نصيبي لتكوني اماً لأولادي...
- كلا، لا اريد اولادك!

لاحظت الغضب في عينيه. ولم تستطع النظر الى تلك العينين النفاذتين فخفضت عينيها وبدأت تتصور رسوماً وصوراً تتراقص على الخشب حيث كانت واقفة.

- بالرغم من اي شيء اخر ساعطيك اولاداً وهذا ما قررته، اذ ان حياة زوجية بلا اولاد ينقصها عنصر حيوي مهم.
- مهم؟ ما هو المهم فيه؟

صحيح ان صوته كان جافاً وصارماً الا انه عنى شيئاً قد يكون مهماً. وكانت تود ان تفهم هذا الشيء.

- مهم لنجاح الحياة الزوجية.

هل كان ينوي ان يقول انه مهم لسعادة الزوجين؟

- الا تعطي السعادة الزوجية اهمية اكبر؟

وبعد ذلك لم يتكلم كلاهما. فيم كان يفكر؟ توترت اعصاب تارا وظنت انها قد تكشف شيئاً من اعماقه، ولكن هذا كان ظناً عابراً يجب ان تنساه.

- سنصل جزيرة كورفو غداً، وسأنزل الى البر لأتي بصديقي الكاهن كي يقوم بمراسيم الزفاف. انكمش قلبها وسرت قشعريرة في جسمها. وقالت وهي تشعر بجفاف في شفتيها:
- لم تقل لي اننا نقترب من كورفو.

- لا حاجة بك لأن تعرفي. اعرف انك تأملين في اغتنام الفرصة للهرب كلما توقفنا في احد الثغور بقصد التموين. واعتقد الآن انك تعرفين قدرتي في التنظيم وحرص بحارتي على تنفيذ اوامري ليراقبوك كلما توقفنا في مكان ما. وفي كورفو سأقفل عليك الباب مثل كل مرة.

كانت تفرك يديها حيناً وتلويهما حيناً آخر. واخذت تتكلم وهي تبلع ريقها:

- لا اريد الزواج منك. استحلفك بالله، اتركني واعدك بأني لن اتكلم بشيء.
- وكيف تفسرين غيابك كل هذه المدة؟

كان مهتماً جداً بسماع جوابها.

- سأختلق اي شيء. فقدان الذاكرة مثلاً... غيري يفقد ذاكرته ايضاً!
- لا تكوني سخيفة!

كانت لهجته كأنها موجهة الى طفلة.

- انسيت انك اختطفت؟
- لن انسى ذلك طيلة حياتي!
- قد تعتبرين يوماً ان اختطافك كان بركة عليك. ارتدي الثوب الذي اشتريته لك من لشبونة. لونه يناسب جمالك وطرازه ايضاً. هل احببته؟

هزت رأسها لأنها تذكرت ثوبها الجميل الراقد في قعر البحر. اما الثوب الذي تكلم عنه ليون وهو واحد من بين اثواب اخرى كان يجمعها كلما توقفا في مرفأ فكان بلون المرجان الذهبي، مشدوداً عند الصدر واسفله كله ثنيات. وكانت اكمامه طويلة تضيق عند المعصمين. الفستان جميل وكامل كل الكمال ولكنها بدأت تكرهه لأنه سيكون فستان عرسها.

- لا بأس به.

وبعد فترة قالت:

- اليست هناك وسيلة لاقناعك باعطائي حريتي؟

هز رأسه بالنفي وعبس ولم تترك له فرصة الكلام اذ قالت:

- لن يزوجنا كاهنك هذا! سأتهدده، وبالرغم من انك ستبقيني سجينة فاني سأخيفه من العقاب حتى يرفض زواجنا مهما كان مديناً لك.
- اذن سأصرفه اذا انت رفضت، وستصبحين امرأتي بالسر.

هذا هو الخيار الثاني الذي ذابت امامه كل احتجاجاتها وتهديداتها.

ـ هل سيزوجنا على اليخت؟

ـ طبعاً. فاني لا اخاطر بأخذك الى الشاطىء.

ـ اذن لا خيار لي... الا في الزواج منك.

المعروف ان الزواج بالقوة مستحيل، ولكن بسبب الوضع الذي هي فيه الآن فاما الزواج واما... الخيار الآخر... فاذن ستتزوج وستبقى تخطط للهرب... وسوف تنجح.

٦ ـ الدّوامة العمياء

عندما اقترب اليخت من هيدرا رأت تارا الجزيرة في وهج غروب الشمس، وبدت كأنها عروس بحر تطفو على سطح الماء الهادىء. في خليج سارونيك. وبالرغم من وضعها لفت نظرها هذا المكان الذي ستعيش فيه.

عرفت تارا شيئاً عن تاريخ الجزيرة من جملة ما قص عليها ليون. كانت مركزاً لقراصنة البحر، اما الآن فانها تستهوي الكتّاب والفنانين واصحاب السفن وغيرهم. والمباني الضخمة القائمة على سفوح التلال يملكها الاثرياء... وكان ليون أحد هؤلاء.

قال لها انه كان في وقت ما أحد ملّاك البواخر الا انه تحوّل الى فن الازياء. يملك مؤسسة هيرا وهي من ارقى بيوت الازياء النسائية

www.elromancia.com

المشهورة. تذكرت تارا الآن لماذا ذكر ليون في احاديثه السابقة معها عبارة «نماذج ودمى» وعرفت ان ذوقه دقيق للغاية. واشهر فساتين هذه المؤسسة صممها ليون بنفسه فأكسبتها شهرة عالمية.

رفعت هذه المعلومات من قيمته في عينيها واعتبرته اقل وحشية من ذي قبل، ولكنها لم تتخل عن فكرة الهرب في اول فرصة ممكنة تواتيها على الجزيرة.

كانت واقفة عند سياج اليخت عندما انضم ليون اليها:

ـ سأدلك على بيتنا عندما نقترب من الجزيرة.

احست بدغدغة في معدتها لدى سماعها كلمة «بيتنا»، لانها دلت على ان مستقبلها تقرر وانتهى.

ولا شيء في العالم يستطيع ان يغير منه شيئاً. اصبحت ملكاً لزوجها، والمبنى لهما كليهما، ستسكنه حيث ستكون قطعة اثاث وعبدة مطيعة لليون كباقي نساء اليونان. التفتت اليه ودفع الهواء شعرها فغطى وجهه، وعندما تكلمت كانت في صوتها مرارة اليأس:

ـ أنه بيتك انت! لن يكون ابداً بيتنا نحن الاثنين!

اغضبته هذه العبارة وقال محتداً:

ـ ما معنى هذا؟ هل مازلت تفكرين بالافلات مني؟

ـ سأكون نموذجاً لامرأة او دمية تعيش في عبودية، لذا سأحاول الهرب.

توقعت ان يرفع صوته عالياً ادهشها هدوؤه عندما قال:

ـ يجب ان تؤمني بما قلته لك وهو انك ستباركين هذا الزواج. فقد يولد لنا طفل في وقت ليس ببعيد... قد يكون على الطريق الآن... وعندئذ ستتقبلين نصيبك.

احست بانقباض في قلبها. طفل على الطريق؟ فعلاً، بعد تلك الليالي التي امضتها معه ربما صار هذا حقيقة واقعة. لم تفكر في ذلك مطلقاً. دعت الى الله ان ينقذها من ذلك، واذا صح انها ستنجب طفلاً، فسيسد عليها هذا الطفل طريق الهرب. ولن يفرط ليون بطفله لتأخذه معها ذات يوم. وهذا سيرغمها على البقاء. لاحظ ارتعاشها وهي تعلق على كلامه:

ـ أصلّي من كل قلبي الاّ يحصل هذا. هل نسيت اني احب رجلاً آخر؟ اخذتني زوجة لك، ولكنك ستندم!

ـ او ستذهبين الى الشرطة اذا هربت؟ هل هذا الذي سيجعلني أندم؟

بانت لها قساوة صوته كقساوة جبل من جليد، ولكنها تابعت كلامها بحدة لم يعهدها فيها:

ـ قلت لك قبل هذه المرة اني لن اخبر الشرطة اذا تركتني اذهب. رجوتك فرفضت، ولكنني هذه المرة سأذهب! وصديقك الكاهن سيكون مأواه السجن... برفقتك طبعاً!

ـ ماذا عمل لك الكاهن؟ انك لم تتذمري ابداً وهو يقوم بمراسيم الزواج.

تأخرت في التعليق على قوله هذا لانها احست باختناق من فرط حنقها، لكنها استطاعت ان تقول:

ـ لم اتذمّر من تهديدك لي اذا انا رفضت. لكني اعتقد ان الكاهن، وهو مفرط الذكاء، أحس بشيء غير طبيعي.

ـ لم يرتكب الكاهن اي شيء غير قانوني. فدعيه وشأنه... هذا اذا تمكنت من الهرب.

ـ افهم من كلامك هذا ان الهرب قد يكون محتملاً. اتعرف؟ لقد شجعتني، واني اشكرك لإحياء هذا الامل في.

تطلع نحو الجزيرة يتأملها وبعد برهة قال:

ـ اذا تحققت آمالي فستلدين طفلاً في وقت قريب. عندئذ لن تتركيني.

ادارت نظرها عنه وبكت. لقد نجح في كل خططه حتى الآن، ؛ فأي أمل لها بعد اليوم؟

قالت وهي ترتجف:

ـ كما قلت سابقاً سأصلّي كيلا أحمل طفلاً.

ـ كلانا في صحة جيدة، ومن المعقول ان تلدي طفلي خلال السنة.

لم تعلق بشيء على كلامه، وادار وجهها اليه ضاغطاً على ذقنها باصابعه القاسية. فاستعدت لاحد مشاهده المعروفة بوحشيتها. ركز بصره فيها وقال:

ـ سأعمل المستحيل كي تلدي لي طفلاً يا تارا. افهمت؟ انا سيدك وحياتك رهن بي، وستحملين العدد الذي اريده من الاطفال.

ـ سأكون قطعة اثاث في بيتك اذن!

كاد صوابها يطير من الغضب. اى اهانة اكبر من اجبارها على سماع

وقاحاته؟

- وعبدة ايضاً! سألت منك يوماً من الايام! وستكون أغبى الناس اذا ظننت انك ستفلح في ابقائي سجينة عندك!

تحول عنها واخذت تارا تتحسس ذقنها والدموع تترقرق في عينيها، دموع الشقاء واليأس، اليأس من أملها في التغلب على بطشه وعلى ضعفها. اذ انها ستبقى اذا هي ولدت له طفلاً.

ادار ظهره لها وتركها. رأته وقحاً في مشيته، وقحاً في مظهره. وبالرغم من ارستقراطيته الراقية فانه لن يستطيع تغيير الطباع الدنيئة التي نمت فيه جنباً الى جنب مع رقيّه. وعادت بتفكيرها الى الليلة الاولى على اليخت عندما ابدى تحولاً في معاملته لها، بعد ان لان لتوسلاتها وخرج من غرفتها دون ان يمسها. في تلك اللحظة كان صوته لطيفاً ومعاملته انسانية مما يدل على انه كان قلقاً عليها، وبرهن على ذلك في الايام القليلة التي تبعت تلك الليلة والتي تعهد فيها بأن يبقى على وئام معها.

ولكن ما ان اقترب اليخت من جزيرة هيدرا حتى دبّ الخلاف بينهما من جديد عندما ذكر لها اقتراب ساعة عقد قرانهما الذي يعني نهاية املها. وزاد الشقاق في اول ليلة لهما معاً بعد مراسيم الاكليل، عندما حاولت ان تقاومه بكل قواها التي ما لبثت ان تلاشت امام بطشه. فهدأت تارا جسمياً الا انها كانت تقاومه بكل عقلها. ارادها ليون امرأة خاضعة جسماً وعقلاً ولهذا لم يتمتع بانتصاره انتصاراً كاملاً.

دوّخها وهو يؤكد لها ان أساليبه ستتغلب على مقاومتها وستتشوّق في نهاية الامر لتكون بين ذراعيه. اقرّت والأسى يملأ قلبها بصدق قوله معترفة بضعفها في لحظات كهذه. كما اعتبرت قوله صحيحاً عندما أكد لها ان ديفد لن يستطيع منحها ولو جزءاً صغيراً مما يمنحها هو، فهذا ذو خبرة واسعة مع النساء وذاك ما زال مبتدئاً.

اصبح اليخت كاتانا قريبا من مدخل الميناء. واخذت تارا تمتع بصرها بمشهد اليخوت ذات الاشرعة البيضاء والقوارب الصغيرة ذات الالوان الزاهية. ورفعت نظرها لتشاهد جبل الجزيرة الخالي من اي خضرة. كان المشهد جميلاً جداً. والفيللات والبيوت البديعة تنتشر في المناطق العليا من التلال أمام بيوت اهل الجزيرة المتواضعة المدهونة بالابيض والازرق فكانت

متراصة في المناطق الادنى مستوى او منتشرة بمحاذاة الشاطىء يعلوها برج

. . . كانت الجزيرة جبلية محرومة من الطرق المعبدة، وحركة السير فيها على الارجل او على الحمير، وحيث الطرق معدومة تماماً يصل الناس الى بيوتهم بواسطة الأدراج الحجرية. ولما ابدت تارا ملاحظة بأن الجزيرة فريدة من نوعها، قال ليون بأن كل الجزر الجبلية حيث يصعب شق الطرق مبنية على هذا النسق.

كانت تنظر الى كل ذلك وحدها عندما احست بحركة قريباً منها. كان ليون خفيفاً في حركاته ولهذا اطلقت عليه لقب القط البّري.

- انظري! هذا هو بيتنا.

رأت قصراً جميلاً فوق هضبة تطل على الميناء وعلى خليج سارونيك.

- من المؤكد ان المنظر جميل من هناك.

لو انها اتت الى هذا المكان مع زوج تحبه لكانت اسعد النساء. . .

- آمل ان يعجبك القصر يا تارا. سيكون بيتك الابدي من الآن فصاعداً، وعليه انصحك بان تتكيفّي مع حياتك الجديدة هنا.

- سأتكيف كسجينة طبعاً. اني اتساءل كيف ستتدبر أمر ابقائي هنا، غير ان لك خطتك التي ستنجح كما نجحت غيرها ولا شك.

كانت وهي تتكلم تشعر بمرارة وأسى شديدين.

- سأقول لخدمي أنك تعانين من انهيار عصبي يمنعك من الاختلاط بالناس فيجعلك تتجولين بمفردك. وبما ان مرضك هذا يقلقني كثيراً ولكي تكوني في أمان فسيراقبك الخدم طيلة الوقت. هناك بستانيان يراقبانك اثناء تجوالك في الحديقة، وبلايا التي ستكون وصيفتك الخاصة لن تفارقك وانت داخل البيت. وهي تقوم باعمال اخرى منها الا تتركك تذهبين خارج محيط القصر.

وجدت نفسها مرغمة على الاعجاب به رغم حقدها العميق.

- انت ذكي وماكر! واذا قلت لهم ان كل ذلك كذب في كذب؟

كان التهكم واضحاً في ابتسامته.

- هل سيصدقونك ويكذّبون رجلاً يعرفونه منذ سنوات؟ وهل دفعت بك سذاجتك الى الاعتقاد انهم سيخاطرون فيخسرون عملهم من اجلك؟

نظرت في عينيه ملياً وسألته بكل جدية واهتمام:

- هل يصدقون كل ما تقوله لهم ام انهم فقط ينفذون اوامرك وأعينهم مغمضة دون ان يحاولوا معرفة مدى الصدق او الكذب فيما تقول؟

احنى رأسه موافقاً وقال:

- يتقاضون راتباً مني، وهم يعلمون ان العمل على هذه الجزيرة صعب المنال. ومن حظي بعمل يتمسك به بيديه ورجليه. وانا واثق يا تارا انهم سيعتنون بك اكبر عناية ولن يدعوك تفلتين.

- هل قيام مراقبة على مدى اربع وعشرين ساعة في اليوم ممكن؟

ابتسم كمن يبتسم لطفل ساذج.

- ستكونين تحت مراقبتي فترة لا بأس بها في الاربع والعشرين ساعة اذ انك ستكونين رفيقتي من العشاء حتى ما بعد الفطور من صباح اليوم التالي.

كانت النظرة السامة التي رمته بها نقطة ارتباك وضعف.

- نعم يا سجّاني!

- انبّهك ألا تتمادي في الكلام. الصبر ليس من صفات زوجك.

تركها فجأة مثلما اتى خلسة. وعادت تنظر الى اليخوت والقوارب الراسية في الميناء بينما عادت بافكارها الى ديفد. هل يفكر فيما يكون قد جرى لها من اختطاف او تعذيب او موت ايضاً؟ هل يتوقع اخباراً تقول انهم وجدوا جثتها ملقاة في احد الحقول او في حفرة؟ وتعرف تارا ان كل يوم يمر على ديفد يفقده امله في العثور عليها، وها قد مضى اسبوعان على اختطافها في ذلك اليوم المشؤوم...

قد يكتشف ديفد انها متزوجة، واذا نجحت في الهرب وكان ليون في السجن سيلغي زواجها. تصورت ليون في السجن يقوم بالاشغال الشاقة ويعيش على الخبز والماء وستأسف لانتهاء مدة سجنه!

في تلك اللحظة عاد ليون اليها وفكرت في ايذائه مثل دفعه الى الماء والنظر اليه وهو يغرق.

- اراك تفكرين كثيراً يا تارا.

- نعم. كنت افكر في مدى تمتعي بمنظرك وانت تغرق وتتحول طعاماً لكلاب البحر.

قال ضاحكاً:

- لا اتصورك امرأة متعطشة للدماء، ولا توجد كلاب بحر في هذه المنطقة.

وانذرته تارا بيوم الحساب قائلة:

- ان يومي لآت.

- سنرى ياطفلتي. اراهنك على انه لن يمضي شهر الا وتكونين متعلقة بي لدرجة لا تستطيعين معها الا التراجع عن تهديداتك.

متكبر، متغطرس، ادرات له ظهرها لعله يتركها فتتخلص منه. ولكنها احست بيدين قويتين تشدّان على كتفيها وتديرانها لترى وجهاً كل تقاطيعه صارمة وفماً مطبقاً وعينين تقدحان ناراً. توترت اعصابها ونبض قلبها واسودّت الدنيا في عينيها واخذت شفتاها تتلوّيان.

- لا تديري ظهرك لي مرة اخرى! تعلّمي أصول الاحترام والاّ...

هز جسمها هزاً دل على وزن تحذيره لها.

كانت تارا تبتلع ريقها المرة تلو المرة وهي تحاول التخلص من الاحساس المخيف الذي تشعر به كلما كانت في قبضة هذا الشيطان المتجبّر والذي يجمّد فيها قوة التفكير.

- ارفع يديك، ارجوك، انت تؤلم كتفي!

- سيؤلمك في جسمك غير كتفيك اذا عاملتني بهذه الطريقة!

كانت تبكي. تركها ولكنه ظل ينظر اليها نظرته الكريهة.

اعتقدت انه سيرغمها على الاعتذار وعلى الطاعة له. ولكنه ظل صامتاً. كان ينظر الى الجزيرة والى انوارها المتكاثفة مع غياب الشمس وراء أفق ذهبي اللون اضفى جمالاً حتى على الغيوم العالية.

وبدأت النجوم تتلألأ في سماء هيدرا والهلال من عليائه يطل على العالم.

وكلما اقترب اليخت من الشاطىء توضحت معالم الفيللات والبيوت والتلال التي كانت فيما مضى مأوى للقراصنة الذين جمعوا اموالاً طائلة وعاشوا عيشة بذخ وجنون. وقارنت تارا بين هذه المباني الفخمة وبين البيوت الصغيرة المكعبة الشكل؛ والفرق الشاسع بين ابهّة الاولى ووضاعة الثانية. ولكنها لاحظت ان كل بيت من هذه البيوت الشعبية تحيط به حدائق صغيرة تزينها الازهار، ولا يخلو من شجرة برتقال او ليمون.

كان الظلام تاماً عندما رسا اليخت في الميناء، ولكي لا يترك لها اية فرصة للهرب امسك ليون بذراعها بقبضة من حديد وحذرها من محاولة القيام بأي شيء والاّ اعادها الى غرفتها على اليخت واغلق الباب عليها

حيث سيبقيها الى صباح اليوم التالي. اخذا طريقهما عبر ممرات ضيقة مظلمة وبدأ صعود التل. وقال لها زوجها ان ثلاثة رجال اشداء سيرافقونهما فتبيّن لتارا مدى حرص زوجها على سدّ جميع الطرق في وجهها. ولكي يؤكد لها ذلك قال بسخرية.

ـ حاولي الهرب يا تارا وسترين ان ذلك يكلفك غالياً.

تلفتت تارا حولها ولكنها لم تر للرجال أثراً.

ـ انهم لا يزالون على اليخت لينزلوا حقائبنا اذ اني جمعت لك مختلف الثياب من مخازن الازياء في مدن الثغور حيث كنا نرسو. وستحصلين على المزيد منها، كما اني مهتم بأن ترتدي فساتين من نماذجنا.

يعني هذا انها ستلبس فساتين من تصاميم مؤسسته وستكون دمية يستعملها للدعاية.

وصلا الى الفيلا وكان احد الخدم عند الباب ليستقبل سيد الدار. أخذ الخادم يبتسم ولكن ابتسامته اختفت عندما وقع نظره على تارا.

ـ هذه زوجتي يا كليانثس. تارا، هذا احد الخدم.

بدا الرجل مذهولاً وقال على الفور:

ـ زوجتك يا سيد ليون؟ ولكن الآنسة...

توقف عن الكلام على الفور وبدا الرعب في عينيه لتسرّعه في السؤال. رمقت تارا زوجها بنظرة خفيفة ورأت الغضب في عينيه.

ـ اهلاً بكما... سيد ليون... سيدة ليون.

كان كليانثس يتلعثم خوفاً من سيده. واستنتجت تارا من ذلك انه قد يعاقب، وودّت لو تعرف من هي هذه السيدة الاخرى التي هجرها ليون بعد ان اصبحت له زوجة. لا تستغرب تارا ان يكون لزوجها اكثر من امرأة واحدة في نفس الوقت، اذ ان بهيميته تسمح له بذلك.

وقف كليانثس جانباً فدخلا بهواً واسعاً تزينه الازهار والطنافس والمفروشات العتيقة الغالية الثمن والسجاجيد العجمية وارض من الفسيفساء.

ـ اخيراً سيسعد الجميع لأن للسيد ليون زوجة الآن! نعم، سيكون لهما اولاد عديدون!

استولى الغضب على تارا التي صرخت في وجهه:

ـ اذهب الى الشيطان!

نظر الرجل الى ليون مستغرباً.

ـ الى الشيطان؟ ما هذا... الى الشيطان؟

ـ ان السيدة ليون متعبة. ارسل لنا بلايا لترافقها الى غرفتها.

ـ حسناً ياسيدي. انا ذاهب لتوّي!

قال ذلك واختفى راكضاً ليشيع خبر قدوم العروس. في تلك الاثناء التفت ليون الى زوجته وعنفها قائلاً:

ـ تعلّمي ان تضبطي لسانك. كنت نبهتك الى ذلك من قبل!

ـ لن اقبل ان يتكلم خادم عن اولاد. لي كرامتي.

ـ هذه تمنيات طيبة ترافق التهاني بالزواج في بلادنا. وستعتادين على عفوية اليونانيين واندفاعهم.

ـ الرجال منهم. اما النساء فاظن انهن خرس... بفضل جبروت ازواجهن.

ـ يا آلهي! كنت صفعتك الآن لولا مجيء بلايا في اية لحظة!

لم تجب تارا واخذت تجيل نظرها في انحاء البهو لتتلهىّ قليلاً وتهدىء اعصابها المتوترة. رأت على الجدران لوحات قديمة وصوراً تاريخية، وفيما هي كذلك اتت بلايا ورافقتها الى غرفة لها سقف عالٍ ابيض موشىّ بالذهب. ستائرها تتوهج والسرير مغطى بالمخمل الاخضر. اما جدران الغرفة فبيضاء وكل شيء فيها يدل على ذوق سليم ليس فيه تطرّف.

وجدت في غرفة الحمام مناشف سميكة من الحرير. وعلى الرفوف زجاجات جميلة تحتوي على كل ما تحتاج اليه. وتساءلت تارا كم من النساء سبقنها ومكثن في هذا القصر. وجدت بجانب غرفتها غرفة اخرى كان بابها مغلقاً. وحاولت ان تنصت لعلها تسمع صوتاً او حركة فيها ولكنها لم تسمع شيئاً كانت سجينة بين غرباء وشعرت بالوحدة والشوق الى من تحب وبالحقد على من اختطفها وأذلّها...

تكذب اذا هي ادّعت انها لا تستمتع بعناق ليون. فليون يسيطر عليها بقوة وجاذبية خارقتين فيغريها بطرق سلسة ويستولي عليها بأساليبه الاخاذة. اي نوع من المرأة هي؟ كم من مرة سألت نفسها هذا السؤال منذ ان اختطفها ليون. قبل ذلك كانت تحمرّ خجلاً اذا حاول رجل ان يتقرب

اليها بجرأة مكشوفة. وقبلت بديفد لأنها وجدته معتدلاً ورزيناً. ومع ذلك فهي تتمتع بهذا الرجل الذي تكرهه. لا تفهم كل هذا لأنها لا تفهم نفسها.

كان هناك باب داخلي يؤدي الى غرفة ثانية. وجدت في مكانها عندما رأت مقبض الباب يدور ببطء ودون اي صوت. من عساه ان يكون؟ ولما لم يفتح الباب استعمل مفتاحاً.

كان رجلاً. استدارت تارا لتستنجد ببلايا ولكن هذه لم تكن في الغرفة. والرجل هذا كان زوجها ولم تتميزه بسرعة لأن الضوء كان وراءه فبدت تقاطيعه كتقاطيع الشيطان. اخذت تتفحصه وكلما حاولت ان تتبينه اكثر ترى فيه عدّوها اللدود! ولا تعرف من اين اتتها قوة داخلية مفاجئة جعلتها تصمم على مقاتلته حتى النهاية. لن تخضع له كما كانت تفعل في السابق.

ـ تعالي الى هنا!

وجّه اليها هذا الامر مشيراً الى مكان عند رجليه.

ـ اني منشغلة الآن بالنظر الى الخارج.

قالت ذلك واقتربت من نافذة عليها ستائر غير مسدلة بعد.

ـ تنظرين في الظلام؟ لا تكوني سخيفة!

ـ لست عمياء. استطيع ان ارى.

ـ ماذا تستطيعين ان تري غير الانوار والبحر؟

ـ ماذا تريد؟

سألته وهي تقترب من النافذة اكثر فاكثر.

ـ قلت لك ان تأتي الي، واذا كان لك قليل من العقل يا تارا فاعلمي اني لست رجلاً يتقبل التحدي. أطيعيني حالاً!

ـ اين ثيابي؟ اريد ان اغتسل ثم اغيّر.

ـ ثيابك في طريقها الى هنا.

وأمرها ان تقترب منه عند قدميه. بدأت دقات قلبها تتسارع وعقلها يعمل ومع ذلك كانت تتقدم نحوه كآلة مسيّرة.

ـ انا... انت...

ـ من حسن حظك انك تحركت في النهاية. كنت على وشك تلقينك درساً لن تنسيه!

ـ اي انك تستعمل العنف؟

ـ أنوي ان اركعك عل ركبتيك وان اذّلك.

www.elromancia.com

٧ ـ انتصار صغير

كانت تارا واقفة بالقرب من عين الماء في الحديقة تنظر الى سفوح التلال المزروعة بالزيتون والى زرقة مياه البحر والى الافق بين البحر والسماء. وكانت تشعر بقرب البستانيين لكن دون ان تراهما. وبعد بضع دقائق خرج زوجها من البيت وقالت له عندما اقترب منها انها ستهرب مهما تشددت الرقابة عليها.

ـ لا تتصوري نفسك ثعلباً ماكراً. تلزمك بعد بعض الدروس القاسية.

هزت كتفيها لتظهر له عدم مبالاتها وقالت:

ـ انك دائماً تهدّد. لقد اعتدت على تهديداتك الآن بعد ثلاثة اسابيع.

ـ انت أعند امرأة التقيت بها في حياتي.

ـ لأني لم اخضع بعد لسحرك؟ هذه ضربة قاسية لكبريائك لاني لم اقع في

حبك. كم قلبا حطمت في حياتك؟

ـ لكنك سقطت ضحيةلـ. . .

توقف عند اتمام جملته ولكنه عبس وقال:

ـ قبل كل شيء لك رغباتك، ولا بد انك تعترفين لنفسك بأن المتعة التي تشعرين بها معي لأعظم بكثير مما لو كنت مع ديفد.

لا تستطيع ان تناقشه في هذا الموضوع. فهو يعرف تماماً انها تقّر به.

ـ لكن الاهم من هذا انك لم تفز بقلبي.

ـ هذا صحيح، لكن لديّ الوقت الكافي.

ـ هل تهتم فعلاً بأن اقع في حبك؟

ـ ليس بالضرورة، الا ان الحياة تكون افضل، وعلاوة على ذلك لن تزعجيني بشجارك الذي لا ينتهي.

ـ لم اكن كذلك قبل ان اتعرف عليك!

ـ طبعاً لا. فمن يقع في حبك كي تتجادلي معه؟ ان حظ ديفد اكبر مما يتصور لانه لم يتورط معك، ولكن هل يعرف ذلك؟

لم تظهر تارا درجة الغيظ الذي استولى عليها. وهذه احدى المرات القليلة التي تنجح في ضبط اعصابها أملاً منها بأن يفقد السيطرة على اعصابه، ولكنها لا تستطيع الاستمرار. تبدأ سيطرتها بالتلاشي عادة فيحتدّ مزاجها. يحدث ذلك كلما هدّدها بالضرب. اما هو فلا يفقد هدوءه البارد الا نادراً. كان البستانيان الآن يعملان قريباً منها واخذت تفكر في طريقة للهرب. من غير المعقول ان يبقى زوجها في البيت ويهمل أعماله. فلا بد له من ان يسافر الى اثينا مثلاً. وكما قال لها مرة انها لن ترافقه في رحلاته حيث لا يستطيع مراقبتها كما تراقب هنا.

نظر اليها وتبع اتجاه نظرتها.

ـ من السهل ان يخمن المرء ما تفكرين فيه: الا تتوقفين عن التفكير بالهرب؟

ـ ابداً! واتمنى ان ارى هذين الاثنين يسقطان امامي جثتين هامدتين.

ـ فكري فيما تخسرين لو انك تركت بيتي.

قال ذلك ليذكّرها بمواقف ضعفها.

ـ يالك من حمار متكبّر!

انها تتسرع في الاجابة دون ان تفكر. ولولا وجود البستانيين لكانت

الآن تذوق ألم العقاب، ولكن اقصى ما حدث هو ان وجهه دلّ على غضب شديد وهياج مكبوت.

- يبدو لي انك تحبين العقاب، واستغرب اني لم استعمل العصا لغاية الآن.

ورأت يديه تتشنجان واصابعه تتلوّى كأنه يريد ان يخنقها. وعزمت ان تتنبه الى هفواتها اكثر.

- اني اكره ان اسمعك تكرر اخبار مغامراتك العاطفية.

دهشت لما قالت. كانت تريد متابعة الحديث وحسب.

- لأن تكراري يذكرك بأني أنجح في اخضاعك. ويذكرك ايضاً بانك كنت تتمنين بكل قوتك ان تتزوجيني...

كان هادئاً جداً وهو يتكلم. ولكنه لم يتم كلامه اذ قاطعته:

- انت اجبرتني على الزواج! وانا لم ارغب في الزواج منك لأني احب شخصاً آخر!

- لا تحبين شخصاً آخر. اذا كان هذا صحيحاً فكيف تستمتعين بوجودك مع رجل آخر؟

خفضت رأسها خجلاً امام هذه الحقيقة الصارخة.

- هذا لأنني...

توقفت ورأسها بعد منحنٍ. ضحك هو وأتمّ جملتها:

- ... انك تنجذبين الي.

رفعت رأسها ورأت ابتسامته الهازئة. قالت:

- سأتخلّص حتى من هذا في يوم من الايام.

- لن تتحرري من ذلك. عرفت منذ اللحظة الاولى التي وقع نظري عليك في المستشفى ان القدر شاء لك ان تكوني لي... الى الأبد.

تناول يدها ونظر الى خاتم الزواج الذي في اصبعها:

- هل من الممكن ان تتحرري؟

لم تدر كيف اجابت كما يشتهي، كأن قوة خفية دفعتها لتقول ذلك:

- كلا باليون. لن اتحرر.

- هذا هو التعقّل بعينه. ارجو ان تهدئي الآن وتتقبلي الحياة الهنيئة التي أقدّمها لك.

نظرت اليه بعينين باكيتين وقالت:

- لا حياة لي، انك حرمتني من سعادتي الآن وفي المستقبل.

اطبق يديه بقوة ولكنها فسرت ذلك بأنه دليل على انفعال داخلي لا على غضب ورأت شرياناً في عنقه ينبض والشمس تعكس نورها على صدغه الأشيب فتحوّله الى لون الفضة. جعله هذا يبدو اكبر من سنّه الاحدى والثلاثين، وربما يعود ذلك الى حياته الماجنة.

نظر هو الآخر اليها وثبت عينيه في عينيها ورآهما تلمعان. بدا كأنه يريد ان يتكلم ولكنه بدلاً من ذلك ادار ظهره اليها وذهب تاركاً اياها حزينة بائسة. كان يؤلمها ان تكون مع هذا الرجل الذي هو سجّانها...

ظلت برهة وهي على هذه الحال ثم اخذت تتجول في انحاء الحديقة يتبعها احد البستانيين عن كثب حاملاً معولاً لتنظيف الحشائش وفي اليد الاخرى سبحة كان يسبّح بها وهو يتمتم او يغني.

تنهدت حسرة وندماً. كانت قد قالت لزوجها انها لن تتحرر، وها هي الآن تفكر بالحرية. ولكنها عندما تكون بين يديه تبدو مسحورة بقوة مغناطيسية تجعلها تستسلم لكل رغباته ونزواته مثل دمية تسيّرها الخيطان.

وعندما تكون وحدها ترى زوجها كغمامة عابرة دخلت حياتها ولم يعد لها اية اهمية. وعندها فقط يحتل ديفد تفكيرها لأن جاذبية وسطوة ليون بعيدتان عنها. وتعود تفكر في بيتها الجديد الذي وضبته مع ديفد واثاثه الذي اشترياه بعناية فائقة وكل ذلك بعد دراسات وابحاث وزيارات الى المخازن لاختيار الصنف واللون والشكل. كانت اياماً حلوة تلك التي كانا يمضيانها معاً لتجهيز عش المستقبل وكم يتولاها الحنين لتلك الساعات الهادئة عندما كانا يتجولان في المخازن وهو ممسك بيدها أو يخططان حياتهما المقبلة بحب واخلاص...

والآن... هل ستجتمع بديفد مرة اخرى اذا نجحت في الهرب؟ واذا هي هربت، على ليون ان يطلّقها، واليونانيون لا يؤمنون بالطلاق. ولكنها فكرت فجأة في احتمال ان يكون هناك مولود وأخافها هذا الاحتمال.

كلا، لا تريد مولوداً بالرغم من تأكيد ليون على ذلك، لأن هذا يعني نهاية أملها في الهرب...

خاطبت نفسها:

- لا يجب ان افكر في ذلك. يجب ان افكر في الهروب. اذ كلما طال مكوثي هنا كلما زادت احتمالات ارتباطي بطفل.

وبينما كانا يتناولان طعام العشاء في ذلك المساء رآها ليون صامتة تفكر. قال ظناً منه انها تفكر في ديفد:

- آن الاوان لأن تطردي الشخص الآخر من رأسك. انا زوجك وكلما اسرعت في ادراك هذا والتكيّف به كلما كان ذلك افضل.

أفسد عليها تجهّم وجهه وكلامه ما كانت تفكر به. وأقرّت تارا في نفسها بأن ليون كان يبدو جذاباً في طقمه الناصع ذي اللون الاخضر الخفيف. وله هيئة مميزة لا توجد الا في طبقة الاشراف. ومن ينظر اليه يرى فيه سيداً مثقفاً له دماثة خاصة. بالاضافة الى قامته المديدة الرشيقة كقامات أبطال الرياضة الذين لا يزيد وزنهم غراماً واحداً عن الوزن المطلوب.

لم تطل التفكير فاجابته:

- لن يخرج ديفد من حياتي. انه الرجل الذي اخترته زوجاً لي، الرجل الذي اعرف اني استطيع ان احبه وان اكون سعيدة معه طيلة حياتي.

- لو تزوجته لأصبحت أتعس النساء!

كانت لصوته رنة من لا يعرف الا الأمر والنهي. وفتحت تارا فمها لتعلّق على ذلك لكنه قال:

- انا عطيك كل هذا، فلم لا تقنعين؟

- الحب اساس الزواج. لهذا لا يمكنني القبول.

- انتم الانكليز عاطفيون... والانكليزيات بصورة خاصة. قولي لي بربّك، كم يدوم هذا الحب؟

- الحب الصحيح لا يزول، ولكنكم معشر اليونانيين لا تفهمون ذلك. الحب والعناية هما اهم شيء في الحياة الزوجية.

- والانسجام الجسماني، اليس مهماً هذا الآخر؟

- ربما...

سألها مستغرباً:

- ربما؟ قولي بصراحة، أليس هذا أهم شيء في زواجنا؟

- هو الشيء الوحيد في زواجنا.

- والماديات؟ معظم النساء يكن سعيدات لو حصلن على ما لديك الآن اذا تمسكت به ولم تهربي. استطيع ان امنحك اعلى مستوى من الترف والعيش الفخم... انظري الى بيتنا مثلاً... تملك يختاً وعندما تأتين معي الى اثينا ستعيشين في شقة فخمة وستكون لك سيارتك الخاصة.

- كل ذلك... ولكن بدون حب.

- اخبريني. كم عدد صديقاتك اللواتي تزوجن عن حب... ويعشن سعيدات بحبهن فقط كما تتصورين؟

تطلعت اليه، لكنها لم تقل شيئاً. تذكرت سو وهي تعدّد لها الزواجات التي تهدّمت او هي مهددة بالانهيار. انه لمخيف حقاً، ولكن زواجها بديفد سيدوم لأن حبهما قوي ثابت.

- ما هو جوابك على ذلك؟

- يمكن للحب ان يدوم.

- الا تعرفين اصدقاء لك هانئين في حياتهم الزوجية؟

لم يكن سؤاله استيضاحاً، بل تحدّياً. واضاف يقول:

- تجدين الجواب هنا في اليونان. نحن هنا نتزوج لإرضاء الغريزة ولانتاج الاولاد. وتزويج الاولاد في القرى ما زال من مسؤوليات الوالدين الذين يعرفون ما ينفع اولادهم.

- قف! الزواج بالتسوية والمساواة من أرذل الامور!

- انسي الحب وارضي بما لديك. وعندما تعودين الى رشدك ستكون سعيدين حقاً.

- تذكرت الآن انك تمنيت ان اقع في حبك.

- قلت ستكون الحياة افضل مع الحب ولم أعن الحب الجامح الذي يتغنى به الشعراء والكتّاب. في نظري ان الحب علاقة واقعية.

ابتسم عند هذه الكلمة وتابع يقول:

- اما الحب الذي نسمع او نقرأ عنه فإنه سخافة.

- سترى ان الكثير ينقصك في الحياة. استطيع القول انك ستجد فيها متعة حسية لا اكثر.

- انت كلبة صغيرة يا تارا. لم أعد اتحمّل مهاتراتك المسمومة دون ان ارّد لك الكيل كيلين.

اخذا يأكلان بصمت. وكان ليون يظهر اهتماماً واضحاً بمظهرها. كان لبشرتها لون ذهبي لأنها تأخذ حمام شمس كل يوم. وخفّت شقرة شعرها والخصل التي تتوج جبهتها العريضة الدالة على الذكاء. عيناها واسعتان لكن حزينتان وفمها يرتجف بين الحين والحين متأثراً بما يجول في فكرها. رآها صغيرة وبلا حول امام سطوته. وكانت تنظر اليه احياناً فترى عبوسا في وجهه او شروداً في عينيه يدلّ على انه غارق في التفكير.

- سأحيي حفلة عشاء صغيرة الاسبوع القادم.

قال ذلك كأنه لم يفطن لهذا القرار إلاّ الآن.

- آن الاوان لأن افخر بوجود زوجتي الجميلة.

- قد استعين بهم في الهرب!

نظرت اليه مستغربة من عبارتها وقالت:

- هل مستعد انت لهذه المجازفة؟

- ياطفلتي الصغيرة. هل تتصورين حقاً ان اصدقائي سينصتون الى ادعائك باني اختطفتك وتزوجتك بالقوة؟ قد يشكّون في قواك العقلية.

تضايقت من منطقه. انه دائماً على حق. كم تكرهه! وبالرغم من ثقته التامة في استحالة هربها... فانها ستبرهن له انه مخطىء...

قبل حفلة العشاء بيضعة ايام اشترى ليون فستانا لها ووضعه على السرير. سألته من اين اتى به اذ كانت ترتاب في انه قد يكون أحد فساتين صديقاته. قال ضاحكاً وكأنه خمّن شكوكها:

- لا اعمل شيئاً كهذا لزوجتي ياتارا. هذا محتمل لغيرك، ومستحيل لك.

نظرت اليه نظرة فضول واستيضاح:

- هل تحترمني؟

تردد قليلاً قبل ان يجيب بسرعة وبدون انتباه:

- اكثر من احترامي لاي امرأة من قبل.

ثم قال مشيراً الى الثوب:

- اشتريته هنا في الجزيرة. وهو بقياس الفساتين الاخرى.

- في الجزيرة؟ هل في الجزيره مخازن ازياء؟

- توجد خياطة في القرية... مارغاريتا. هي التي عملته حسب تصميمي.

ثم نظر اليها وابتسم:

- ساسمح لك بزيارة القرية اذا وعدتني بعدم الهرب.

- لن أعدك مطلقاً...

كان جوابها دون تردد، الا انها نظرت اليه بعينين واسعتين وقالت:

- هل تثق بي اذا وعدتك؟

شعرت كأن قلبها سيقفز من صدرها لشدة خفقانه. فهذه فرصتها. ستعده وسيثق في وعدها وستكون هذه طريقها الى الحرية... زوارق النقل متعددة بين الجزيرة وبيراوس. وهي تراها من بينها.

ضيّق فتحة عينيه لأن دهاءه كشف له عن نواياها فقال:

- اذا وعدت يتحتم عليك ان تلتزمي بوعدك.

- ماذا تعني بذلك؟

- لا شيء. كل ما هناك انني اثق بك.

- أثق بي... الى هذا الحد؟

هزت رأسها غير مصدقة ما يقول واضافت:

- لن ترتكب هذه الحماقة!

- اعرف انك لن تخوني وعدك. انا مستعد ان امنحك حريتك اذا وعدتني فقط.

كان يتكلم واثقاً. اما هي فلم تجب، وكان فكرها في دوامة. هل سيثق بها حقاً؟ يبدو ذلك مستحيلاً. من المؤكد انه لن يعتبرها عديمة الشرف اذا هي وعدته وخنثت بوعدها، اذ تؤمن ان لها مطلق الحق في عدم تنفيذ وعدها... وستفعل كذلك. ثم تساءلت: هل سيفعل ذلك حقاً...؟

- والآن...؟

هزّت رأسها وقالت:

- كلا. لا استطيع وعدك بذلك.

- ربما فيما بعد.

وتحول الى موضوع الخياطة وقال:

- تملك مارغاريتا مصنعاً صغيراً في نهاية الميناء. إبرتها سحرية في العمل.

وانا ادرس امكانية ضمّها الى مؤسستي.

توقف قليلاً كمن يستريح ثم اضاف:

- ستتعرفين على إلين في حفلة العشاء. انها اجمل واذكى من جميع نماذجنا.

لم تفهم تارا لماذا اصابتها قشعريرة برد خفيفة في ظهرها.

- اوه... أهي يونانية؟

- والدها يوناني ووالدتها انكليزية.

وبحركة عادية رفع الفستان واخذ يتلمس الاجزاء المطرزة فيه. اعجبت تارا بخبرته حتى في طريقة حمل الفستان بين يديه. وبدا لها غير ذلك الرجل العنيد المتغطرس. ثم حوّل نظره من الفستان الى قوام زوجته الرشيق والى وجهها وشعرها.

- كان يجب قص شعرك. ذكّريني ان اتصل بمصفف الشعر ليأتي غداً.

توهجت عينا تارا وصرخت:

- لن اسمح بذلك. أحبّ شعري كما هو!

لم يؤثر غضبها فيه فقال:

- شعرك لا يليق بك هكذا ولا بالشكل الذي سألبسك اياه، وخاصة بهذا الفستان.

- انت تلبسني كما تشاء؟ هل تعتقد اني عبدة بلا ارادة وظيفتها اطاعة سيدها وارضاؤه؟

وقالت بصوت مخنوق:

- فكر فيما اقول ملياً. لن ألبس كما يشتهي الغير.

- تظلين غير أليفة كالقطط. انك لم تلبسي الاّ ما قدمته لك حتى الآن.

- لأنه لا خيار لي.

- ولذلك ستلبسين ما اختاره لك. ولكن اذا وعدتني بعدم الهروب ستتمكنين من زيارة محلات الازياء في اثينا وستختارين ما يحلو لك.

كان دمها يغلي في عروقها. هو يلبسها كما يشاء! ولكنها امسكت عن الكلام، غير انها صممت الاّ تلبس الفستان الذي بين يديه.

وفي مساء حفلة العشاء استحمت تارا واخرجت فستاناً آخر من خزانتها. ولكنها تأملت الفستان الذي يريد منها ان تلبسه فوجدته فعلاً غاية في الكمال. كان بلون القرنفل الزهري له بطانة خضراء خفيفة تظهر

من خلال فتحات التطريز. وكانت اكمامه طويلة تبدأ عند الخصر بثنيات متعددة واسعة. جرّبته في الصباح بعد قص شعرها ورأت انه يزيد من جمالها... ادركت ان ليون يملك بصيرة حادة تؤمّن النجاح لأي شركة ازياء.

- لن ألبسه! ولن يفرض ارادته عليّ!

لبست الفستان الآخر. وكانت واقفة امام المرآة عندما اتى ليون من الغرفة الثانية يرتدي طقماً فخماً من الكتان الاخضر الباهت وقميصاً ابيض في صدره ثنيات. وتوقف فجأة عندما رأى فستاناً آخر بين يديها.

- ماذا جرى؟ هل حدث شيء للفستان؟

- ليس به اي شيء.

هاهي تثور تفور كما يحدث لها عادة.

- لن البسه، هذا كل ما في الامر. افضل عليه هذا.

تعرف انها كذبت عليه.

- يالك من...

وقف امامها كالجبار وقد اسودّ وجهه من حدة الغضب وقال مهدّداً:

- اخلعيه حالاً! هذا ليس فستان سهرة...

- اعرف ذلك، لي شيء من قدرة التمييز.

- اين الفستان الآخر؟

كان اهدأ بقليل الا انه كان قلقاً.

- في الخزانة. لن البسه.

كانت تقاوم حتى وهي ترتجف.

- اقسم بالله انك ستلبسينه. اخلعي هذا والا اجبرتك بالقوة.

تراجعت مذعورة واخذ الدم يتلاشى من وجنتيها وخافت من انه سيضربها.

- إياك وان تلمسني. انا...

لم تكمل عبارتها لانه بحركة عصبية مزق الفستان الذي عليها من ياقته الى طرفه الاسفل تقريباً.

وقبل ان تتحرك خطوة واحدة انتزعه عن جسمها كلياً فبقيت بملابسها الداخلية. واشار بيده نحو الخزانة وصرخ قائلاً:

- اريد الفستان الثاني. الآن ياتارا والا . . .

وبالرغم من غيظها الذي غمرها كالطوفان توجهت الى الخزانة تفادياً لضربة قد يوجهها اليها.

- لا . . . لا اريد ان . . . ان البسه.

كانت العبرات تخنقها فبكت مثل طفلة.

- ارتديه!

بدأت تلبسه طائعة والدموع ما زالت تسيل من عينيها.

- حسناً عملت. ان ضيوفنا سيكونون هنا بعد بضع دقائق. فلا تتأخري.

وخرج تاركاً اياها في حالة لا تطاق من الغيظ والقهر.

- اكرهه. قد أقتله!

وضعت رأسها بين يديها واخذت تبكي.

- كيف استطيع ان استمر في حياة كهذه؟ كيف؟ آه ياديفد. . . لو استطيع ان ارسل لك رسالة واحدة. . .

كفت عن البكاء خوفاً من بطش زوجها وغسلت عينيها. كان منظر وجهها بشعاً عندما تطلعت في المرآة.

تملكها الغضب مرة ثانية وتغلب على حذرها فأصرّت على عدم ارتداء الثوب، ولن يتمكن ليون منها هذه المرة. أخذت تنزعه عنها بتمهّل. وبحركات جنونية حاولت تمزيقه ولكنها فطنت الى مقص الأظافر فتناولته وأخذت تمزقه قطعاً صغيرة.

دخل عليها ليون ووجدها في عباءة نوم.

- ألست جاهزة بعد؟

ولكنه ذهل عندما وقع نظره على الفستان الممزق ولم يصدق ما رأت عيناه. ولتزيد الطين بلّة لم تبال بما قد يفعل بها، فأخذت قطع الفستان ورمتها في وجهه.

- قلت اني لن البسه وكنت جادة في قولي. انا البس ما اختاره لنفسي. . . يجب ان تفهم ذلك!

كان كله شعلة من الغضب. ازرقّ وجهه وانتفخت شرايينه فهجم عليها بخفة القط واخذ يهزّها هزاً عنيفاً سريعاً دون توقف جعلها تحس بضربات مطرقة داخل رأسها. وظل على هذه الحال الى ان اخذ يلهث من

التعب فتوقف. لكن عباءة البيت وهي خفيفة جداً تمزقت وانزلقت من على جسمها فأخذت تستر نفسها.

- ماذا سترتدين الآن؟ ليس هناك ما يلائمك.

سمعت اسنانه تصطك ورأته ينظر الى ساعته. ولم تبال هي بما ترتدي او لا ترتدي، فقد شعرت بنشوة اول انتصار لها عليه. كان ليون امام الخزانة يبحث بين الفساتين الاخرى بينما كانت تارا تنتظر وهي تصغي الى الجنادب الليلية بين الاشجار. وجد ثوباً في نهاية الأمر. كان ثوب سهرة هو الآخر بلون الفيروز الازرق. كانت تحب هذا الثوب ولكنه ليس على ذوق ليون الذي يريد لها فستاناً خاصاً لهذه الحفلة

- البسي هذا. انه افضل شيء.

اطاعته بسهولة هذه المرة متنازلة عن كل رغبة في القتال بعد نشوة الانتصار، وقد يقنعه عملها هذا بانه لا يجب ان يتوقع منها خضوعاً اعمى دائماً. . .

٨ ـ عذاب في الفردوس

عندما نزلت تارا من غرفة نومها كان هنالك ضيفان وصلا قبل غيرهما واستقبلهما ليون. وكان ستاماتي عند الباب عندما دخل الشاب والفتاة. فاغلق ستاماتي الباب وتناول من الفتاة معطفها الفرو. حملقت تارا في جمال هذه الفتاة التي لا يبدو فيها اي عيب والتي عرفت فيها عارضة الازياء التي تكلم عنها ليون. كانت الفتاة طويلة وساحرة في لباسها المكون من فستان صمّم ليبرز مفاتن جسمها. ورأت فيها رمزاً لتفوق الانوثة. وكلما قارنت فستانها بفستان الفتاة ودّت لو تختفي عن الانظار نظراً للفرق الكبير بين الاثنين. صمم ليون فستان هذه الفتاة كنموذج رائع يضفي جمالاً على جمال وجهها وجسمها كما يراهما هو. فهمت الآن شعور زوجها وحماقتها في اتلاف الثوب الذي اراده ان يكون ارقى نماذجه تصميماً.

رأت تارا البريق في عيني ليون وهو ينظر الى الفتاة ثم اليها.

ـ الين، أعرّفك على تارا، زوجتي.

مدت الفتاة يدها وهي تلقي نظرة فاحصة بعينيها السوداوين على ثوب تارا. بالطبع لن تستطيع تارا ان تقرأ افكار إلين التي تعرف كيف تخفيها عند اللزوم.

صافحت تارا تلك اليد وهي تشعر باحساس جليدي يلفّ جسمها، فقد احست تارا بعداء هذه الفتاة نحوها على الفور.

ـ لي الشرف.

قالت الين ذلك والتفتت الى ليون لتهنئه:

ـ انها فاتنة حقاً! كانت دهشتنا جميعاً كبيرة، ولم أصدق عندما اتصلت بي لتزفّ الي الخبر.

رد ليون على ذلك بابتسامة باردة. ثم عرّف زوجته على رفيق الفتاة، **نيقولاوس كاليرجيس**. كان متوسط القامة، له شعر اسود كالليل وعينان كستنائيتان. يناهز الثامنة والعشرين ويملك سفينتي ركاب ومزارع زيتون شاسعة. تناول يد تارا واحتفظ بها مدة اطول من اللازم. التقت عيناها بعينيه وتولاها شعور لم تفهم سببه. الا انها رأت في عينيه نظرة صداقة فورية كما رأتها في شفتيه الممتلئتين.

ـ انا سعيد بالتعرف عليك يا تارا.

قالها باخلاص وهو يقفز بنظره من الين الى ليون. وتوجه بالكلام الى تارا مرة واخرى:

ـ كيف استطعت التغلب على مناعة هذا الأعزب العنيد؟

تورّد وجهها ولكنها لم تجب، وهي تعي تماماً أن نظرة الين المترفعة تعني ان ليون لم يتزوجها لنباهتها وذوقها السليم.

تضايقت تارا داخلياً من احتمال نقد إلين لأنها لا تظهر بالشكل الذي يليق بالمقام وهي زوجة لأشهر مصمم أزياء.

وصل ضيفان اخران بعد خمس دقائق وانضما الى باقي الضيوف في غرفة الجلوس حيث كانوا يتناولون المقبلات. الضيفان رجل وامرأته وهما اكبر سناً بكثير من إلين ونيقولاوس، وقد احبتهما تارا كما احبت ضيفين آخرين هما **جوليا وكرستاكيس ميتاس**. لم تمل للاشتراك في الحديث فكانت تتسمع

فقط. وكان آخر الضيوف الذين وصلو أغني ولوكيس اماخيس، واغني هذه لها من العمر خمس واربعون سنة. ودهشت تارا عندما علمت بأن أغني متساوية مع زوجها حقاً وودت لو تعرف كيف رفعت نفسها الى هذا المستوى في بلد يَضع المرأة دون مستوى الرجل.

وعندما قدم ليون زوجته الى لوكيس للتعارف قال هذا الاخير وهو يبتسم في وجهها:

ـ هذا مثير حقاً. ليون متزوج... ولم يعلم اي من اصدقائه لا من قريب او بعيد بنيته في الزواج.

كان لفظه وهو يتكلم الانكليزية كلفظ زوجته اقرب الى اليونانية منه الى الانكليزية بعكس إلين وليون اللذين يتكلمانها بطلاقة. وسألت أغني ليون اذا كانا قد تعارفا مدة طويلة. ولاحظت تارا ان المتكلمة توجهت بنظراتها الى الفتاة الجميلة التي كانت تجلس منزوية على كرسي قرب النافذة ووراءها الستائر المذهبة التي زادت من جمالها الساحر. اجاب ليون:

ـ كانت مدة التعارف قصيرة، وكانت لحظة من تلك اللحظات التي يحدث فيها الانجذاب المتبادل من اول نظرة.

قال ذلك وهو ينظر الى زوجته التي كانت تعرف ان ذرة من كلامه لم تكن صحيحة. والصحيح هو انه هو الذي انجذب وهي التي نفرت منه عند النظرة الاولى. وتابع ليون كلامه قائلاً بصوته العذب:

ـ ولهذا السبب لم يكن امامنا سوى الزواج.

اطبقت إلين شفتيها ومالت الى الامام فتناولت سيكارة من العلبة. تساءلت تارا كم من المرات قامت إلين بهذه الحركة قبل الآن. واسرع ليون فأشعل لها السيكارة. ولاحظت تارا كيف تقابلت أعينهما. ولكنها لم تلاحظ فيها اي تعبير خاص.

كانت حفلة العشاء هانئة وكان نيقولاوس الجالس قبالة تارا يحادثها معظم الوقت بالرغم من النظرات الخفية التي كان ليون يرميه بها. رأت تارا تلك النظرات الا انها لم تعبأ بها فتابعت حديثها مع نيقولاوس الذي فضلته على الضيوف الستة. وما انت السهرة على نهايتها حتى قام بينهما نوع من الرباط لم يعرفا مدى قوته أو تأثيره في هذه المرحلة. الا ان تارا كانت متأكدة من انهما سيلتقيان مرة ثانية... ولكن وحدهما...

وكما توقعت كان ليون غاضباً. اذ ما ان رحل آخر الضيوف حتى عاتبها على استفراد نيقولاوس دون باقي الضيوف في الحديث. واتجهت تارا بفكرها الى إلين التي استفردت زوجها في عدة مناسبات وغازلته بغاية لفت نظره الى الفارق بين مظهرها ومظهر زوجته. غضبت تارا هي الاخرى دون ان تعرف الدافع، فهي لا تغار من الالفة الموجودة بينه وبين إلين الجميلة.

ـ قمت بمتطلبات المجاملة اللطيفة. الا تتوقع مني ذلك؟

ـ كنت اتوقع منك ذلك تجاه الجميع. ولكنك كرست وقتك لنيقولاوس فقط.

ـ اي عمل اقوم به لا يعجبك. اعلمني ولو مرة واحدة بعمل يروق في عينيك حتى اسجّله.

ـ انتبهي. مزاجي لا يتحمل اي شيء الآن.

ـ كان نيقولاوس لطيفاً وظريفاً، وفي كل الاحوال اظرف من صديقتك الين.

لم يظهر على وجهه اي انفعال غير انه سألها:

ـ الم تهتمي بإلين؟

ـ كلا، لم اهتم. كانت تنظر اليّ كأني أدنى منها مستوى.

ـ هذا بسبب فستانك...

ـ ومن اشترى هذا الفستان لي؟

ـ ولكن ليس لمناسبة كمناسبة هذه الليلة. ولكل مناسبة فستانها الخاص، وهذا ما يجب ان تتعلميه.

ـ هذا سخيف. يلبس الانسان ما يروق له.

ـ انت زوجتي ويجب ان تكوني مثالاً للغير، وان يكون ملبسك في منتهى الكمال شكلاً ولوناً وزيّاً.

ـ هذا حديث الخبراء! كنت فتاة عاملة عندما دفعتني الى هذه البيئة... التي اكرهها!

ـ كاذبة!

كان مزاجه هادئاً ومتزناً مما اثار اعجاب تارا. كم تتمنى لو تحظى بقوة ارادة كقوة ارادته في ضبط الاعصاب.

ـ اشعر اني اريد ان اذهب للفراش.

ـ هذه مبادرة تعجبني.

لم تفكر في ما فكر به وقالت بغضب ظاهر:

ـ اريد ان ابقى وحدي... ولو مرة واحدة.

ـ كاذبة!

ولم يترك لها الوقت لتتكلم اذ انه اخذها بين ذراعيه وعانقها بضراوة قائلاً:

ـ نعم، يجب ان نذهب الى الفراش.

وقفت تارا عند النافذة تنظر الى الافق البعيد. هناك، ما وراء الافق، وطنها انكلترا وديفد... اخذت افكارها تجول هنا وهناك وتذكرت شيئاً قالته إلين عندما كانتا جالستين معاً على الديوان في احدى لحظات الحفلة:

ـ لم يتوقع اي منا ان يتزوج ليون بهذه السرعة، والكل يأمل ألاّ يندم على ذلك.

كان هذا الكلام مع صراحته دون اي تأثير على تارا. ان علاقة الين بليون اكثر من علاقة عارضة ازياء بمصمّم ازياء. تبين لها الآن كيف كان الضيوف ينظرون اليها بلطف واعجاب وربما يتساءلون عما وجد ليون في هذه الانكليزية حتى يتزوجها بهذه الصورة المفاجئة.

وكان نيقولاوس وحده الذي انسجم مع تارا منذ اللحظة الاولى وربطت اسمه بفكرة الهرب.

قال لها اثناء الحديث انه يملك يختاً متيناً وهو موجود في الميناء. وتمنّت لو تستطيع ان تميز يخته بين الزوارق واليخوت الراسية هنالك. وأملت في ان يعيدها هذا اليخت يوماً ما الى حريتها. كان الميناء يتلألأ بأنوار الزوارق واليخوت وفي خارجه تحوم زوارق الصيد. وحين يطل القمر من بين الغيوم يحوّل سطح الماء الى مرآة لامعة تتخللها ظلال يلعب بها النور في سحر طبيعي خلاب. كان من سمّى هذه بجزيرة الفردوس على حق.

فتحت تارا النافذة فوصل الى أنفها أريج الازهار الذي كان يختلط برائحة شجر الصنوبر.

وفجأة رأت نفسها تنتقل الى عالم لا نهاية له حيث لا توجد اشياء حقيقية او اشياء حسية. ديفد ليس موجوداً والهرب لم تعد له تلك الاهمية. كما لم تعد اهمية للماضي او للمستقبل. ولكن في الوقت نفسه احست بوجود

شيء حقيقي في الغرفة. استدارت ورأت زوجها واقفاً على مسافة قصيرة منها بوجهه الجميل وقدّه الرشيق. ولاحظت ان عباءة النوم التي كان يرتديها لم تكن مزررة من الامام فكشفت عن صدره. تلوّن وجهها عندما واجهها بسؤال وجدت فيه قوته السحرية كلها:

ـ ألست مستعدة لي يا زوجتي؟

تنهدت وهزت رأسها بالنفي. ولكنها لم تقاومه عندما جذبها اليه.

ـ هل ما زلت عند قولك بأنك تفضلين البقاء وحدك الليلة؟

كانت عيناه تأكلانها أكلاً وابتسامته تدل على انه يتوقع كالعادة ان يتغلب على اية مقاومة قد تبدر عنها.

كانت تكره هذه النظرة كما تكره ضعفها واستسلامها لسطوته السحرية. وتشمئز من شعوره بالنصر على ارادتها وحرية التلاعب بها كالعجينة دون ان يلقى منها حتى ارادة في صدّه.

ـ اجيبيني يا تارا!

كان يصّر على سماع ردّها. رفعت اليه عينين رأى فيهما توسلاً كي يتابع ما هو ناوٍ عليه.

ـ لا يا ليون... لا اريد ان... ان ابقى وحدي...

★ ★ ★

ماذا جرى لها؟ سألت نفسها هذا السؤال عندما امرها زوجها بارتداء لباس سباحة من نوع خاص فأطاعته. اذا كانت تقاومه في السابق بعقلها اصبح عقلها مستسلما لجسمها الآن ومع مرور الزمن وتكرار هذه الطاعة العمياء تخشى تارا الا تستطيع ابداً الرجوع الى الوراء. تعرف قوة جاذبيته لها وقوة جاذبيتها له وهذا هو موضع ضعفها. اذ انها تقاومه في وضح النهار ولا تفكر بمقاومته في هدوء الليل، ولكن مقاومتها بدأت تخف حتى في وضح النهار. وليون يعرف متى وكيف يجعلها تطيع كعبدة بلا روح. ويعرف انها عندما تكون بين ذراعيه تطيع كل امر يصدره اليها. ولكن هل يعرف انها تخافه وتخاف استبداد اوامره في النهار؟

امرها الان وفي وضح النهار بأن ترتدي لباس السباحة ورأت عينيه تحذرانها من الرفض، ففكرت بضعف مقاومتها الجسدية والالم الذي تشعر به كلما هزتها يداه القويتان من كتفيها. ومع ذلك كانت تتصدّى له.

اما الآن فقد وصلت مقاومتها الى ادنى حد تستسلم ليس فقط بالجسم بل بالعقل والروح ايضاً.

ولأنها عبست عندما أراها ثوب سباحة اصغر من قبضة يدها اراد ان يتقدم منها ويبرهن لها على انه هو السيد المطاع. فأرغمها على ان تلبسه امامه. اعجبه الثوب وقال لها:

- انزلي الى الحديقة الآن، ولكن لا تتعرضي للشمس كثيراً.

سألته اذا كان سيأتي هو ايضاً، وتمنّت ان يرفض لأنها تفضل ان تبقى وحدها في الحديقة، فالوحدة بلسم لها عندما تختلي بذكرياتها الماضية. بدا لها في كثير من الاحيان انها تستطيع ان تنسى ديفد ومأساة اختطافها وزواجها بالقوة. ولكنها لم تستطع هضم فكرة ان يتخذها ليون مرافقة له اذا هي رفضت الزواج منه فيقذف بها الى الشارع متى شاء اذا ضجر منها.

فاذا كان ليون لا يجد فرقاً بين امرأة في بيته تكون زوجة له وامرأة تسلّيه، فلماذا تزوجها اذن؟

قطع صوته تأملاتها عندما قال انه مشغول في مكتبه. ولكنه كان ينظر اليها بتشوق، ورنّت في اذنها عباراته التي تقول بان جسمها ملك له وله

الحق في التصرف به كيفما يشاء. وتساءلت اذا كانت نظراته تعني انه يفكر في امتلاكه لها في تلك اللحظة. اذا كان هو مستعداً فلم تكن لها اية رغبة في ذلك. ولكي تتخلص منه اخذت تبحث عن عباءة الحمام. وعوضاً عن ان يدلّها عليها اخذها وضمّها اليه ولم يتركها.

كانت متمددة على كرسي بحري طويل عند المسبح حيث يصل الى سمعها أزيز الحشرات في اغصان الاشجار وصوت معول البستاني وهو يعمل هنا وهناك من حولها وهو يراقبها كي لا تهرب حتى في ثوب الحمام والعباءة التي لا تستر كثيراً.

مضى عليها نصف ساعة وهي مسترخية متناعسة عندما افاقت على صوت زوجها.

- رائعة! رائعة جداً!

ابتسم ولأول مرة ترى على وجهه هذه الابتسامة.

- هل استطيع مجالستك؟

- من يمنعك؟

واشارت بيدها الى كرسي طويل آخر يبعد عنها قليلاً. لم تعجبه طريقتها في استقباله وقال بعد ان تلاشت الابتسامة:

- لا تكوني كالكلبة. من الواضح اني غير مرغوب فيّ هنا.

قال ذلك وجلس. كان لابساً سروال السباحة وقميصاً بسيطاً لا يغطي عضلات ذراعيه وصدره. حتى وهو في هذا اللباس كان مميّزاً. نظرت الى عينيه الحادتين ووجهه البرونزي وفكّيه اللذين يذكرانها بفكّي تمثال اغريقي قديم. ونظرت الى فمه وشفتيه الممتلئتين. ودون ان تفكر وجدت نفسها تقارن بينه وبين ديفد، ولم تر فيهما نقاطاً مشتركة... لا يستطيع الانسان ان يقارن النمر بالحمل.

فكرت في ان توجه له سؤالاً يراودها منذ مدة:

- لماذا تزوجتني يا ليون؟

ولما اكتفى بالنظر اليها بحدّة دون ان يجيب، اضافت:

- لم تكن بحاجة الى الزواج.

كانت تتفحصه بانتباه كبير.

- كنت تمتلكني حتى قبل الزواج، وكان في امكانك وانا في قبضتك ان تتسلى

بي بغير زواج وتتخلص مني متى وجدت واحدة غيري.

كان ينظر الى البستاني الذي له وجه لا يدل على اي انفعال او عاطفة.

ـ الاحتفاظ بك من دون زواج كان مستحيلاً في هذه الظروف.

ـ ماذا تعني بذلك؟

ـ لا تنسي اني اختطفتك. فاذا ابقيتك في بيتي بغير زواج ومن ثم تخلصت منك تستطيعين سجني. اما الآن فلا مجال لك باتهامي بأي شيء ولذا كان الزواج ضمانة تحميني من المتاعب.

ـ ماذا تعني بقولك انه ليس لدي اي قضية او شكوى ضدك؟

ـ انت تزوجتني بارادتك وانت الآن زوجتي... ماذا تستطيعين ان تفعلي فيما لو تمكنت من الافلات مني؟

ـ سأذهب الى الشرطة طبعاً.

ـ هذا لن يفيدك لأنك وعدتني بالزواج، أنسيت؟ وتزوجتني ولم تحتجّي او حتى تتذمّري.

ـ انت لست بهذا الذكاء كما تعتقد. سأنال منك يوماً.

ـ اما زلت تحلمين بالهرب؟

ـ طبعاً.

ـ ما أحمقك! ألم تفكري بأنك حامل؟

نظرت اليه والدم يصعد الى وجهها.

ـ كلا، لا... ماذا يؤكد لك ذلك...؟

ـ انا لست ابن البارحة. انت سجينة هنا ياتارا... الى الأبد.

كادت تبكي لأن تأكيده أخافها. وبدأت تصدّقه بالرغم من ميلها الى انكار هذه الحقيقة. اين العدالة في كل هذا؟ لماذا فرض عليها القدر هذا الزواج الملعون؟

ـ لو تعلم كم اكرهك وتقدّر ذلك لتركتني اذهب حالاً.

تجاهل زوجها بكاءها ونحيبها وشبّهها بطفلة تبكي، الا انه شعر بشيء من العطف نحوها ورأت الشريان إياه يتحرك في عنقه. فقال:

ـ اذا وعدتني بما اريد يا تارا فسأطلق لكِ كل الحرية على هذه الجزيرة. اما والحال كما هي عليه الآن، لا اسمح لك ولو بشبر واحد خارج حدود بيتنا. كوني عاقلة وعديني.

ـ انت قلت انني سجينتك... بدون اي شك، فلماذا تصرّ على الوعد؟

ـ لا اريد ان اجازف بأي شيء قبل ولادة الطفل. لأني اعرف تماماً انك لن تتخلي عن طفلك واعرف ايضاً انك اذا وعدت فلن تحيدي عن وعدك، وقلت ذلك سابقاً.

اخذت تتأمل فيما قال. لو تستطيع الهرب قبل ولادة الطفل... قالت لنفسها: «لن ألد طفلا! سيدمّر ذلك حياتي... ولن يقبل ديفد طفل رجل آخر ولن يتزوجني».

قال ليون متحولاً الى موضوع آخر:

ـ انا ذاهب الى اثينا في الاسبوع القادم، وسآخذك معي اذا اعطيتني هذا الوعد.

كان ينظر اليها بعينين متسائلتين وفيهما أمل بأنها سترد بالايجاب. هزّت رأسها وقالت انها لن تتمسك بأي وعد.

ـ انت أعند امرأة التقيت بها. اريد ان آخذك معي.

قالت باحتقار:

ـ لماذا كل هذا الازعاج...؟ الا تستطيع ان تجد احدى شعلاتك القديمات وتدعوها لتأتي معك؟

لمعت عينا ليون كجمرتين تشتعلان.

ـ عودي الى البيت!

نهض وانهضها معه.

ـ سئمت كل هذا. ستشعرين بثقل يدي على جلدك بسبب ما قلت الآن.

كان يجرها جرّاً وكانت تعرف ان البستاني يتبعهما بنظره. فلم تحاول تارا ان تقاوم. الا ان قلبها كان يدق بسرعة هائلة ووجهها يشحب خوفاً من ان يضربها بالرغم من انه لم يلجأ الى هذه الوسيلة مهما هدّد.

لم تتوقع رحمة او شفقة هذه المرة بعد خبرتها السابقة مع بطشه. فكرت في ان تتوسل اليه ولكن التوسل يقرفها. ويقرفها اكثر من ذلك عندما تنكمش على نفسها من الخوف.

دخلا غرفة النوم وأغلق الباب خلفه بعنف. ووقف أمامها بقامته الطويلة ومنكبيه العريضين ووجهه المخيف.

ولما تركها ابتعدت عنه وركضت نحو النافذة وظهرها الى الحائط كحيوان

يحاصره عدوّه ويستعد للانقضاض عليه. رأت انه من الافضل ان تتوسل اليه اذ انها فقدت شجاعتها.

ـ ليون... ارجوك... لا تؤذني!

ـ تعالي الى هنا!

قصف صوته كالرعد واحست ان قلبها سيتوقف. فوضعت يدها عليه والدموع تهطل من عينيها بغزارة. اطبق أسنانه واشار الى قدميه:

ـ هنا! أقسم بالله، سأجعلك تندمين اذا لم تأتي!

ـ أ... أنا... لا استطيع... اوه، ليون، ارجوك...

لم يقل شيئاً. ولكنه استمر يشير الى المكان عند قدميه. كان السكون في الغرفة يزيد من عذابها وذلّها وغطى العرق جبينها ويديها.

ـ سأفعل كل ما تطلبه مني...

توقفت عن الكلام. ورغم ان ما ستفعله الآن هو اصعب شيء لديها فقد اعتذرت لما قالت، ولكنها لم تتوقف عن البكاء ما دام بقي خوفها منه قائماً. وبقي اصبعه يدل على نفس الموضع. بدأت تجر نفسها جرّاً والرعب يثقل مشيتها. كان يبدو عليه انه مستعد لا لضربها فحسب بل لقتلها. وفجأت تساءلت لماذا هذه المبالغة في غضبه... أقرّ بأن له صديقات، فلماذا ثار وغضب لمجرد قولها هذا له؟ وقال لها ايضا انه يحترمها اكثر من أي امرأة اخرى. فهل يعني غضبه انه يريد ان ينساهن؟ تملكت منها هذه الفكرة فتابعت مشيتها وهي تحملق فيه متناسية انه ربما يمسك بها ويضربها. واذا كانت نيته ان ينساهن، فهذا يعني انه... لا، هذا غير ممكن، غير ممكن انه بدأ يتقرب اليها ويستحبّها... الم يقل مراراً وتكراراً انه لا يؤمن بالحب؟

ـ واخيراً، قررت ان تعتذري؟

فقد صوته قليلاً من قوته ورأت ان غضبه كان أقل حدّة.

ـ لقد انقذت نفسك.

بدأت اعصابها تتمدد وتسترخي وضربات قلبها تخفّ

ـ اظهرت حكمة وتعقلاً، وبالفعل هذا خير ما عملت.

كانت انظاره تحتويها كلياً كالهواء المحيط بكل شيء. شدّها اليه بقوة وقال:

ـ قلت لك انك انقذت نفسك من الضرب... ولكن ليس من عناقي!

ظلت تبكي وتتألم من هذه المعاملة غير الانسانية، وكان بكاؤها ناعماً وهي بين ذراعيه، مستسلماً للهزيمة امام المنتصر، السيد، المستبد. وفي لحظة الألم والمذلة قرّرت ألاّ تعاكسه وهو بهذه القوة التي كادت تهلكها وجعلت صدغيها تضربان مثل الطبل. لماذا تسلك هذا المسلك؟ كانت غريزتها في البقاء تستوجب المقاومة والأخذ بالثأر. الكرامة هي التي تدفعها للقتال ولكن زوجها عرّاها من كل كرامة عندما دفعها الى الاعتذار له.

ـ سأروضّك. فاذا كان اليونانيون لا يتحملون العصيان من الرجال فكيف بالحري من النساء؟ انت امرأة لي في هذا البلد وبهذه الصفة ستقدمين لي كل طاعة واحترام.

ورفع رأسها لتنظر في عينيه وقال:

ـ هل كلامي واضح... يازوجة؟

اجابته بصوت بدا غريباً حتى في سمعها هي:

ـ نعم. نعم يا ليون. كلامك واضح تماماً.

ـ هذا حسن! ربما سيكون عيشنا معاً اكثر هدوءاً بعد الآن.

كانت تخضع له وتستسلم بمذلة لم تعرفها من قبل.

ـ انت تريدينني.

أرغمها على قول ذلك وهي تعرف ان كل حركة وكل كلمة يقصد منها اذلالها واخضاعها وكسر عنفوانها. حملها ومددها على السرير وفي لحظة لم يتنبه لها فرّت من بين يديه كالغزال واحتمت في الغرفة الثانية. ولكن لسوء حظها كان مفتاح الباب من جهته هو ولم يكفها الوقت لفتح الباب ونزع المفتاح. اذ كان ليون أسرع منها فحملها الى السرير ثانية حيث فقدت كل روح للمقاومة وعادت عبدة له لا حول لها ولا قوة...

٩ ـ لن أراك ابداً

كانت تارا وحدها في الحديقة عندما اتى دافوس أحد الخدم ليقول لها ان شخصاً يدعى نيقولاوس يرغب في مقابلة السيدة ليون.

انتفضت تارا ولكنها كانت بغريزتها تتوقع ان تلتقي به... على انفراد.

ـ ادخله الى غرفة الجلوس وقل له اني سأكون هناك بعد خمس دقائق.

ـ حسناً يا سيدتي.

نظرت الى البستاني وابتسمت. لم يطلب ليون الى اي من الخدم ان يكون حاضراً اذا استقبلت زائراً لأنه لم يتوقع زيارات خاصة بها.

كانت متأثرة جداً وهي تغير ثياب السباحة الى ثوب فيه ثنيات وله طوق أرجواني عند فتحته السفلى. هذا واحد من عدة أثواب اشتراها ليون من محل مارغاريتا قبل بضعة ايام، كلها جميلة. بالاضافة الى بلوزات وتنانير

والبسة داخلية حريرية. وقفت تنظر الى نفسها في المرآة بعد ان استعملت احمر الشفاه والعطر.

لماذا اتى نيقولاوس؟ هذا يعني انه يعرف بغياب ليون. نهض عندما دخلت ونظر الى لباسها الجميل بإعجاب.

ـ تحياتي يا تارا!

مدّ كلتا يديه ورأت ان لا بدّ من مد يديها ووضعهما فيهما.

ـ عرفت ان ليون ليس هنا فأتيت لأراك. لماذا لم تذهبي معه؟

ـ هو مسافر في عمل وانا في الحقيقة لا أهتم بهذه الامور.

لم ترد ان تدخل في تفاصيل عدم ذهابها واشارت اليه ليجلس وجلست هي بالقرب من النافذة. كانت خجلة فلم تبدأ بالكلام ككل ربة بيت عندما تستقبل زائراً. خاصة انها ونيقولاوس ما زالا غريبين، ان كلاً منهما يشعر بوجود هذا الرباط الذي قام بينهما في حفلة العشاء. كان ينظر اليها دون ان يتكلم ففكرت في ان تطلعه على حياتها الآن. اذ أن شيئاً فيها كان يقول لها انها ستفعل ذلك يوماً. فلماذا التأجيل؟

كيف تبدأ؟ تلزمها مقدمة اما من عندها او من عنده. ولكن كان كلاهما مرتبكين وافكارهما مشوشة. وتنفست الصعداء عندما بادرها نيقولاوس بسؤال عن ظروف تعارفها بليون.

ـ كان هذا السؤال نفسه على طرف لساني في حفلة العشاء. ولكني اعرف ان ليون لا يحب الاجابة على اسئلة كهذه او حتى التفكير فيها.

ـ التقينا عندما كنت اعمل ممرضة في احد المستشفيات وصدف ان كان ليون مقيماً في احد الغرف بعد ان تعرّض لحادث سيارة.

ـ من الغريب حقاً ان يسرع ليون في الزواج منك بعد هذه المدة القصيرة من تعارفكما.

ضحكت تارا وندم نيقولاوس على عدم لباقته في توجيه هذه العبارة.

ـ آسف! يجب ان افكر جيداً قبل الكلام والا ابتعدت عن الأصول.

ـ هذا لا يهم. وقد أتيت لانك تسرّ برؤيتي كما قلت.

ـ شيء من هذا القبيل. رأيت ان اراك في وحدتك بعد ان رفضت الذهاب مع ليون الى اثينا.

ـ فعلاً كنت اشعر بالوحدة. وانا مسرورة بمجيئك وكان لطفاً منك ان تفكر

فيّ.

كشفت عيناه عن سروره وترحيبه بما قالت:

ـ في المسألة سر غامض، الا تعتقدين ذلك؟

ـ سر غامض؟

ـ في زواجك من ليون...

توقف عن متابعة كلامه غير ان تارا شجعته على المضي لأنها تريد ان تعرف المزيد، فقالت:

ـ تابع، ارجوك. يهمّني ما ستقوله.

ـ لذا كنت محقاً في قولي عن وجود شيء غير واضح. السرّ هو ان ليون وإلين كانا صديقين حميمين طيلة السنة الماضية وكان الكل يعتقد بأنهما سيتزوجان في نهاية الامر. ومن ثم سافر فجأة الى انكلترا في رحلة عمل وعاد منها بعد تسعة ايام برفقتك. وكانت الايام التسعة هذه مدعاة استغراب لدى كل من يعرفه من اصدقاء ورجال اعمال ومستخدمين. كان مسلك إلين متزنا اثناء حفلة العشاء ولكنها ثارت عندما اتصل بها قبل ذلك ليعلمها بزواجه.

كانت تارا وهو يتكلم تحملق فيه وتفكر ملياً فيما يقول.

ـ هل تشاجرا؟

ـ اظن انه كان بينهما جدل او عتاب. إلين جميلة جداً والرجال يلاحقونها. سمحت لواحد منهم فقط ان يرافقها في سهرات او ما شابه ذلك.

هز نيقولاوس كتفيه ورفع يديه وقال:

ـ انها مجرد اشاعة سمعتها وقد تكون صحيحة او مختلقة. انا اعرف تماماً ان إلين كانت تجتذب ليون اكثر من غيره...

قطع حبل كلامه ولام نفسه لأنه لم يكن لبقاً في عبارته الاخيرة.

ـ اعرف ان في حياة ليون غيري من النساء. هذا متوقع، اليس كذلك؟

ـ بالطبع، لكن ليس من اللائق ان يذكر الانسان هذه الاشياء امام زوجته.

ـ ما عليك من هذا. كلّمني عن إلين.

ـ كما قلت. انزعجت إلين كثيراً.

وقبل ان يتابع نظر في تارا ملياً وسألها:

ـ هل تريدين فعلاً ان تعرفي المزيد؟

ـ نعم، يا نيقولاوس. اريد.

ـ تعتقد إلين انه تزوجك ليستغلك فقط.

ـ افهم من ذلك انها واثقة من ان ليون ما زال يحبها.

ـ كنا نعتقد جميعاً انه كان يحبّ إلين.

ـ ليون ليس من اولئك الرجال الذين يقعون في الحب.

لم ترفع نظرها عن نيقولاوس لترى ردة فعله، فكان ان رفع حاجبيه فجأة. ومن ثم اوما برأسه ليس موافقة منه على ما قالت ولكن كمن اكتشف شيئاً فقال:

ـ اذن فهو لا يحبك؟

ـ لا يحب أحدنا الآخر.

خرج جوابها من فمها عفوياً وعليها الآن توضيح الامر. كانت مترددة في فتح قلبها له وطلب مساعدته لكنها ستحاول.

ـ ما هي ظروف طلب يدك؟

تمهلت قليلا خشية اطلاعه على كل شيء قبل ان تتأكد من قوة الصداقة بينه وبين ليون. كانت تخشى ان يذهب الى ليون ويكشف له عمّا قالته له كدليل على اخلاصه. ولن ينتج عن ذلك الا اضطهاد لها من ليون لا تعرف مداه. ولاحظ نيقولاوس وجهها فقال لها انه شاحب وسألها اذا كانت تشعر بشيء.

أومأت برأسها وبقيت مترددة، وفي النهاية سألته:

ـ هل الصداقة بينك وبين ليون متينة؟

ـ لسنا صديقين حقيقيين، ولكن بما اننا نعيش على هذه الجزيرة فمن الطبيعي ان يتعرف الناس بعضهم على بعض ويتلاقوا في المجتمعات. وعدا ذلك لا شيء آخر يجمعنا. تملك إلين بيتاً فخماً هنا ولكنها تمضي معظم وقتها في اثينا حيث تعمل عارضة أزياء للمؤسسة الشهيرة التي يرئسها ليون.

توقف وكان يتفحص وجهها وهو يقول:

ـ يمكنك ان تثقي فيّ يا تارا. اشعر انك تبحثين عن شخص تثقين فيه، ومن حقك ان تتحفظي. ألم تشعري بأن هناك... كيف يمكنني وصف ذلك، نوعاً من التقارب او الرباط مثلاً؟

ـ هذا ما شعرت به يا نيقولاوس! وانا مسرورة انك شعرت بنفس الشيء.

- وهكذا فنحن صديقان؟
- نعم، نحن صديقان.
- اذن تستطيعين الاجابة على سؤالي دون ان تخشي شيئاً.
- ان ليون لم يطلب يدي.

قالت ذلك بصوت هادىء وابتسمت لانه دهش من كلامها.

- لم يطلب منك ان تتزوجيه؟
- لن تصدق القصة التي سأسردها عليك يا نيقولاوس.
- ولا اعتقد انك ستكذبين. واذا اختلقتها فلن تفيدك.
- طبعاً لا تفيدني. وقول الحقيقة هو الذي يفيد.

صمتت ولم تقل شيئاً وكان نيقولاوس صامتاً هو الآخر ينتظر. في النهاية تغلبت على ترددها فأخذت تسرد قصة حياتها مع ليون منذ الساعة الاولى حتى لحظة وجود نيقولاوس عندها. وكان نيقولاوس وهو يستمع اليها يبدي دهشته واشمئزازه او غضبه تحت تأثير عباراتها.

قال وهو لا يصدق ما يسمع:

- اذن قام بخطفك!

ثم اضاف:

- يا الهي! لن يصدق أحد هذا التصرف من ليون. انه شخصية معروفة ومحترمة في العاصمة... لا اصدّق ذلك يا تارا!
- أذكّرك بما قلت من انك لا تعتقد انني سأكذب.
- اعرف...

كان ما يزال تحت تأثير الذهول، يرفع حاجبيه ويعبس ويرفع علامة استفهام بين عينيه محاولاً بذلك اقناع نفسه بتصديق ما يسمع.

- هذا يحدث يوم زفافك. انه لرهيب حقاً! لا بدّ ان قلبك تحطّم!
- تحطّم، وأصابني رعب شديد!
- وهل تغلّبت على كل ذلك الآن؟
- تلاحقت الامور فأصبح الماضي ضباباً وابدو كأنني لا احيا الا في الحاضر. ديفد حقيقة واقعة كثيراً من الاحيان ويصبح نسياً منسياً كثيراً من الاحيان ايضاً.

ولكنها لم تذكر لنيقولاوس انها تنسى وجود ديفد فقط وهي بين ذراعي

ليون.

- انت سجينة هنا؟

نظر من النافذة ورأى الخادم دافوس يعمل في الحديقة بالقرب من النافورة.

- نعم، انا سجينة، ويريد مني ليون ان اعطيه وعداً قاطعاً بعدم الهرب مقابل رفع الرقابة عني.
- أي شيطان سكنه؟ هل كان حبه لإلين بهذه الدرجة ليتزوج اول امرأة يقع نظره عليها؟
- لا أصدق اني اول امرأة وقع نظره عليها. لا تنس انه سافر من اليونان الى انكلترا.
- ذهب الى انكلترا في رحلة عمل وكان يجب ان ترافقه إلين. ولكن لا افهم دوافعه الى هذه الجريمة. فاذا كان فقط يريدك، كان بوسعه ان...

توقف نيقولاوس مرتبكاً، وانقذته تارا من وضعه بعرضها عليه ان يتناول مرطباً او شيئاً آخر. طلب مرطباً واتت به خادمة حسب طلب تارا، وتناولت هي شراباً مرطباً ايضاً.

- اني اتساءل لماذا قام بكل ذلك في حين كان...

لم يكمل وهز كتفيه. فاكملت تارا عنه:

- في حين كان باستطاعته الحصول عليه بدون زواج؟ كلا يا نيقولاوس. اوضح لي ليون انه خاف من عواقب الاختطاف اذ سيلاحقه القانون عندما يمل مني ويرذلني فأذهب الى الشرطة.
- تستطيعين عمل ذلك الآن.
- نعم، اذا تمكنت من الهرب ولن يعطيني حرية التنقل بدون ذلك الوعد.
- ولماذا التمسك بالوعد؟ اعطيه الوعد واهربي.
- لا يمكنني التراجع عن كلمة الشرف يا نيقولاوس.
- اذن انت مجنونة! لا يجب ان ترتبطي بوعد كهذا!
- سأرتبط، وليون يعرف ذلك.

نظر اليها باعجاب وتقدير فاحمر وجهها ولاحظت شريان يخفق في عنقه.

- انت امرأة مدهشة. اتمنى لو...
- نعم؟

تساءلت والأمل يحدوها.

ـ لو استطيع ان استحبّك واتقرب اليك كثيراً يا تارا.

ـ هل تساعدني في الهرب يا نيقولاوس؟

ـ تهربين وتعودين الى خطيبك على ما اظن.

كان صوته هادئاً واجوف. وفكرت في احتمال كونها حاملاً فقالت:

ـ لا اعلم. قد لا يقبل بي بعد زواجي من شخص آخر.

فكرت في ديفد ولكنها فشلت في تصوّره كما كانت تفعل في السابق. والاغرب من ذلك انها وصلت الى حالة نفسية لم تعد تدفعها الى الحزن واليأس، ولو انها تأسف لذلك.

ـ عليك الحصول على الطلاق او على الغاء الزواج كلياً، وهذا يتطلب الكثير من الوقت.

ـ كل همي الآن هو الهرب من هذه الجزيرة. وبعد ذلك سأقرر مصيري، فهل ستساعدني؟

كان ينظر اليها وكانت تعرف ان صراعاً قوياً في داخله.

ـ اذا وشيت بليون الى الشرطة ستدمّرين حياته.

كانت تهز رأسها حتى قبل ان ينهي كلامه.

ـ لا استطيع ان اشكوه الى الشرطة يا نيقولاوس.

ـ الا تريدين الانتقام؟ كيف؟

ـ كنت اريد ذلك من قبل، وليس الآن.

ـ هل وقعت في حبه؟

ـ ابداً!

ـ كثيرات وقعن في حبه. له جاذبية خارقة.

لم تعلق بشيء ولكنها اقرت في داخلها بحقيقة ذلك، وهذه الجاذبية غير الطبيعية هي التي جعلتها تستسلم، فكيف بها تنكرها في نفسها الآن؟

ـ أعد باني لن اقدّم شكوى بحقه. ساعدني يانيقولاوس، ارجوك.

ـ اعتقد أن من واجبي ان اساعدك، لكن ليون سيكتشف ذلك.

ـ كيف؟

ـ هل هناك طريقة اساعدك بها دون ان يدري؟

ـ بكل أسف لا . لكن نستطيع كلانا ابتكار طريقة ما.

كانت متهيجة وعصبية، وهي متأكدة من مساعدة نيقولاوس لها بسبب الرباط الذى يجمع بينهما.

ـ لن يكون ذلك سهلاً.

رأيا فجأة ظلّ طير على ارض الغرفة. فنظرت تارا الى الخارج ورأت دافوس مع أحد البستانيين. وكرهت حتى خدم ليون الذين يلاحقونها بلا انقطاع.

ـ اعلم صعوبة المهمة، ولكني سأجن اذا لم اهرب يا نيقولاوس.

تململ في مقعده.

ـ انها مشكلة كبرى. من البديهي انه اصيب بالجنون حتى يرتكب عملاً كهذا! هذا ليس من صفاته، انه رجل متزن يحترم القانون.

وعندما رأى حاجبي تارا يستغربان قال:

ـ كم من الزمن سيمكث في اثينا؟

ـ قال لي انه سيبقى حتى يوم السبت.

ـ امامنا ثلاثة ايام بعد... ولكن كيف نتخلص من هؤلاء الحراس؟

ـ لا اعرف. اعتقد ان دافوس ينام في الممشى ويصعب تخطّيه اذا خرجت من الغرفة.

ـ تأكد لي الآن ان ليون معتوه!

تارا تعرف انه ليس معتوهاً. وان سبب كل ذلك يكمن في انه يريدها.

ـ ربما استطعت النزول من النافذة اذا اتيت انت بعد ان يكون الجميع قد ناموا ووضعت سلّماً لي. هنالك الكثير من السلالم في غرفة العدّة في آخر حديقة الفواكه... هل تستطيع عمل ذلك يا نيقولاوس؟

ـ هذا ممكن.

ـ لست متأكدا اذن.

ـ المشكلة هي اني لن اراك ابداً بعد مغادرتك للجزيرة.

عضت على شفتها وقالت:

ـ انا اطلب منك المساعدة دون ان اقدم لك شيئاً مقابل ذلك.

تبللت عيناها ولكن بدون دموع، واضافت:

ـ انا مقصّرة اليس كذلك؟ قد تأخذني مثلاً في يختك الى بيراوس... طبعاً، اكون قد ظلمتك وتركتك بدون مكافأة.

ـ قلت انك لست متأكدة من الرجوع الى خطيبك.
ـ اني اعرف ما تفكر فيه يا نيقولاوس، ولكن يجب ان اصارحك باخلاص. ليس في قلبي شعور خاص نحوك... أي شعور عميق.
ـ لا يجب ان تقولي اشياء كهذه. لم تتيسر لنا الفرصة الكافية ليعرف أحدنا الآخر. وفي هذه المرحلة الباكرة وجد ذلك الرباط المفاجىء بيننا. اليس هذا اساساً لشيء أقوى؟

تنهدت. يبدو ان نيقولاوس يشعر بنوع من العطف او الحب نحوها، وهذا يبدو سخيفاً نظراً لأن الرجل اليوناني لا يعترف بالعواطف الكبيرة.

ـ في الحقيقة لا اظن اني سأقع في حبك يا نيقولاوس. وعلاوة على ذلك فاني سأعود الى بلادي اذا تخلصت منه.
ـ هذا ما قلته منذ لحظة. لن اراك ابداً.

رفع قدح الشراب امام عينيه واخذ يتأمل عصير البرتقال في داخله. وضعه على شفتيه وهو ينظر اليها من فوقه، واضاف قائلاً:

ـ ومع ذلك سأساعدك، ولكن ليس اثناء غياب ليون الحالي لأن يخني قيد التصليح الآن. متى سيغيب ليون مرة اخرى؟
ـ لا اعلم.

بعد ان كان قلبها ينبض بالأمل والتوقع احست كأنه اصبح كتلة من الرصاص.

ـ الا توجد طريقة لانقاذي خلال يومين من الآن؟ اليس هناك زورق آخر؟
ـ لي صديق يملك يختاً لكني لا استطيع ان اضمن سكوته او حتى ان يأخذك لأنه أحد عملاء ليون، انه يشتري الفواكه من بساتين ليون فيعلبها في معامله.
ـ ليون يملك بساتين فواكه؟
ـ ليس هنا في الجزر بل في سهول اليابسة في اليونان. واعمال ليون تتعدّى صناعة او تصميم الازياء التي تكون جزءاً من مجموع نشاطاته. افترض انك تعلمين انه مليونير.
ـ اعرف انه غني كبير.

لم تول تارا اهمية تذكر لهذا الحديث، وعادت الى موضوع هربها. ولم تخف عنه خيبة أملها فاعتذر وأكد لها انه سيجهّز كل شيء عندما

يتغيب ليون في المرة القادمة. فاطمأنت تارا واقتنعت بذلك. وقبل ان يتركها سألته اذا كان يستطيع ان يزورها مع ما في ذلك من مجازفة، فأجابها انه سيزورها وانه مستعد لمواجهة العواقب.

ـ واذا اراد هؤلاء الخدم الملاعين ان يحكوا قصصاً لليون فليفعلوا ذلك!
ـ ولكن عندما أرحل سيشكّ ليون بأنك ساعدتني.
ـ لا اهتم بذلك. واذا حاول ليون ان يخشن معي فسأسكته عندما يكتشف ما اعرفه عنه.

بعد ان تركها نيقولاوس اخذت تفكر فيما قاله عن ليون. لم تهتم بأن يصيب ليون أي حرج او اذلال قد يسببه له نيقولاوس، ما دام قد داس على كرامتها هي عندما انتزعها من خطيبها بالقوة وحطم آمالها...

١٠ ـ مواجهة المرأة الأخرى

كانت تارا واقفة بين الشجر على بقعة مرتفعة من الحديقة وهي تنظر الى الميناء لعلها ترى زوجها عائداً من اثينا. ووصلت الى سمعها من سفح التل اصوات اجراس الماعز ونهيق حمار يصعد لاهثاً على طريق معبدة بالحجارة. رأت تارا زورقاً كبيراً قد يكون زوجها أحد ركابه. ها هو يخرج من الميناء وفي يده حقيبة ويتجه نحو الطريق المتعرجة والكثيرة الانحدارات بين الفيللات التي هي زينة جزيرة هيدرا الصغيرة.

لوّح ليون بيده عندما رآها واقفة هناك. وردّت له التحية بمثلها وفي نفس الوقت شعرت بضيق في صدرها بسبب ما هي عازمة عليه، وكذلك بالشوق الى نزواته الغريزية. وتمنت لو انها تفهم موقفها من هذا الرجل الذي يسيطر عليها سيطرة تامة. تكره هذا الرجل، والفكرة المتسلطة عليها

هي ان تفلت من بين يديه... ومع ذلك... كان قد ألمح لها قبل سفره بتأثيره الطاغي عليها وبقوة انجذابها اليه واستسلامها الكلي لانفعالاته.

فكانت تحتار في امرها: أهي الرغبة التي تستولي عليها؟ اهي منحطة الى هذا المستوى العاطفي الذي امتلك قلبها وعقلها... وحتى روحها... وطرد منها كل شيء آخر؟ هذا هو سجنها الحقيقي لا البيت الذى تعيش فيه. وما هي آخرة هذا السجن غير النكبة والعار؟ كانت فتاة مثالية تضع الحب والاهتمام بالناس فوق كل شيء... الى ان التقت بهذا الوثني اليوناني الذي همّه الوحيد تعليمها دروساً في الرغبة من مختلف نواحيها.

ـ كم هو جميل ان ارى زوجتي تنتظرني. بالطبع شعرت بفراغ اثناء غيابي!

قال ذلك وابتسامته الساخرة لا تفارق شفتيه. توترت اعصابها واصطكت اسنانها. لماذا يتهكم عليها؟

دارت على نفسها واتجهت نحو البيت وهي تقول:

ـ صدف خروجي الى هنا لاني مللت من البقاء داخل البيت.

لحق بها وامسك بيدها ولم يستمع الى أنّتها الخافتة:

ـ كيف كنت تمضين وقتك في غيابي؟

ـ في القراءة وحمام الشمس، ومن ثم القراءة وحمام الشمس. وكنت اتناول وجبة طعام بين كل قراءة وحمام شمس واحياناً اتسلى بمراقبة سجانيّ واتساءل ما قد عساهم يفعلون لو اني هربت.

ـ انهم يسبقونك في الجري.

ـ من يدري... قد اتسبب لهم بلحظات يلهثون منها.

ـ وانت ياطفلتي ستسببين لنفسك لحظات تتألمين منها اذا لم تغيري مزاجك هذا. توقعت ترحيباً حاراً فاستقبلتني ثعلبة صغيرة لسانها طويل.

صمتت وتوجهت بافكارها وعينيها نحو اشياء اخرى تشغلها. فأخذت تتطلع الى الاشجار التي تذهّب الشمس اوراقها والى الازهار الكثيفة حول النافورة والفراشات التي تطير من زهرة الى زهرة. وعن بعد رأت رعاة الماعز في التلال والطرقات المؤدية الى الميناء الهادىء حيث صيادو السمك يصلحون شباكهم. وانصتت الى اصوات الجنادب بين اشجار الزيتون والى حفيف اوراق الشجر عندما يداعبها نسيم البحر. كانت سعيدة بهذه اللحظة وهي تسير الى جانب زوجها لانه لم يقطع عليها تأملاتها. سيكون

له الوقت الكافي ليشبعها من صوته!

ـ اصعدي معي وافرغي حقيبتي واخبريني بما كنت تفعلينه في غيابي.

لم يطلب مساعدتها بل اعطاها امراً قاطعاً.

ـ قلت لك ما كنت افعله.

ـ لم تفعلي شيئاً آخر؟

كانا الآن امام باب غرفتها وكان ممسكاً بمقبض الباب وهو ينظر اليها ملياً.

ـ كان يجب ان تعطيني وعدك، وستعطيني اياه في نهاية الامر.

خفضت عينيها لتتجنب نظراته الحادة. كانت تفكر في وعد نيقولاوس لها بابعادها عن الجزيرة في فرصة مقبلة.

وضع ليون حقيبته على ارض الغرفة وقال:

ـ تعالي الي!

ذهبت نحوه طائعة مفضلة ذلك على الهرب ومن ثم الوقوع في قبضته الحديدية.

ـ والآن عانقيني!

اطاعت وعانقته ولكن ببرود. عندئذ شدّها اليه شداً عنيفاً وآلمها.

ـ لم تتعلمي بعد. اعتقدت انك تحققت من اني سيّدك!

ـ اكرهك، اكرهك، هل تسمع؟

ـ اسمع وكل البيت يسمع. اما تكرار عباراتك فليس فيه اقناع. وانت تعلمين انك في اعماق قلبك لا تكرهينني يا تارا.

مسكين. كم هو واثق من نفسه، وأي درس سيتلقنه اذا هي هربت منه! رفعت عينيها فالتقتا بنظرته السوداء الجشعة بينما كانت يده تتلمس اذنها ورقبتها وكتفها.

ـ انت تكرهين فكرة خضوعك لأوامري واعتبارها قانوناً، ولكنك لا تكرهينني. وانا مقتنع كل الاقتناع بأنك وصلت الى المرحلة التي تشعرين فيها بأنه لا يوجد كره حيث يوجد لذة بيننا نحن الاثنين.

أشاحت بوجهها عنه وهي عازمة على ان تكرهه مهما كلّف الأمر.

ـ هذه مجرد رغبة وهي لا تدوم الا لحظة فقط، اي لحظة وقوعها.

لم تعلم كيف قالت ذلك، الا انها تابعت وهي تنظر اليه الآن:

ـ انت تفهم ما أعنيه.

ـ نعم، انا فاهم ما تعنينه يا تارا.

ـ كما قلت، انه ذو مفعول حال وقوعه وليس بعد وقوعه.

ـ افهم مما تقولين ان الغرام او ما تسمينه بالرغبة تقتل التعقل، اليس كذلك؟

ـ هذا صحيح.

ـ وانا اوافقك الرأي. ومن الطبيعي ان تعيق الرغبة قوى الادراك، ولا يستطيع المرء ان يتحكم بعقله عندما تتحكم به...

ـ كفى! تعقّل! الا يوجد شيء آخر تتكلم عنه؟

افلتت منه وركضت الى الطرف الآخر من الغرفة.

ـ كنا نناقش فقط قدرة المرء او عدم قدرته على استعمال عقله في حالات كهذه.

ـ كنا نتكلم عن كراهيتي لك يا ليون! ربما لا اكرهك في ذلك الظرف بالذات... ولكني اكرهك دائماً بعد ذلك... وأنصحك بألا تتحامق، لأنك مهما حاولت اقناع نفسك او غيرك، فانك ستكتشف خطأك في نهاية الامر.

ـ ماذا تعنين بذلك؟ اذا كنت ناوية على القيام بشيء يا تارا، فاني انصحك أن تتذكّري ما قلته مرة: لم يحدث ان حصل شيء دون معرفتي.

ولكن قد تأتي لحظة تفاجئه. على أية حال، يجب ان تنتبه الى ما تقول فانها كادت ترتكب هفوة لا تغتفر.

ـ كلامك غير واضح. ماذا استطيع ان افعل وحّراسك يراقبون كل حركاتي؟

حاول ان يقول شيئاً ولكنه عدل. تركها ولم تره بعد ذلك الا في ساعة متأخرة من النهار.

كان أول موضوع تكلم به في صبيحة اليوم التالي موضوع الوعد. فقال بصوت خشن:

ـ من الافضل ان تعطي هذا الوعد، والا سأبقيك سجينة الى حين ولادة طفل لنا. وهذا أمر يزعجك اكثر مما يزعجني.

ـ هل يزعجك حقاً؟

ـ سأرافقك الى اثينا في المرة القادمة. شركائي يعرفون انني متزوج لذلك استغربوا زيارتي الاخيرة بمفردي، ولا اريد تكرار ذلك اذ انه سيبدو غير طبيعي.

ـ هذا مفهوم.

ـ ولكنك لا تتفقين او تشعرين معي.

ـ ولماذا اشعر معك؟

ـ هل ستعطينني هذا الوعد؟

ـ كلا، لأني لا استطيع اعطاء وعد ليس في نيتي الوفاء به.

ازعجها هذا الامر لانه قد يؤجل رحلته الى اثينا اذا لم ترافقه. وقال لها في السابق ان من عادته زيارة اثينا كل اسبوعين تقريباً حيث يمضي عدة ايام، ويبدو الآن انه متردد في الذهاب بدونها. ومن الطبيعي ان يستهجن اصدقاؤه وشركاؤه غياب زوجته.

ـ هذا يعني انك تأملين في ايجاد وسيلة للهرب.

كان ذلك اثناء تناول الفطور حيث انتظر وصولها اكثر من ربع ساعة. ولما دخلت نهض وقدم لها الكرسي وابدى ملاحظة على مظهرها مبدياً اعجابه به. كان لباسها يتكون من بلوزة حرير لها اكمام طويلة وسروال بزرقة الياقوت. كان شعرها يتألق ولا أثر للحزن في عينيها. وابدى لها هذه الملاحظة ايضاً، ولكن كل هذا الاطراء لم يؤثر فيها، وعزت سبب ذلك الى أملها في ان يذهب ليون الى اثينا ليأخذها نيقولاوس الى بيراوس فتتحرر! ومن هناك تأخذها اول طائرة الى الحرية في انكلترا!

نظرت اليه وعلقت على كلامه الذي كان فيه شيء من القلق:

ـ انت تعرف اني لم اقطع الأمل في الهرب. وتأكد لك منذ البداية ان الهرب يسيطر على جميع حواسي.

برقت عيناه وصعد الدم الى وجهه.

ـ اذا هربت ستأخذين طفلي معك.

ـ سأهرب قبل ولادته... لماذا تتكلم عن الطفل؟ لن احمل جنيناً في بطني! انت تبدو متأكداً وارجو ان تكون مخطئاً! تسببت لي في عذاب اكثر مما استطيع ان احتمل. ولا اريد طفلاً يزيدني عذاباً على عذاب!

شحب وجهه فجأة ولاحظت التواء عرق في وجنته.

ـ ترضين بنصيبك!

ـ لماذا ارضى به؟

واضافت بحرارة:

ـ هل يرضى به أي سجين حاله مثل حالي؟

ـ انت لي، وكلما اسرعت في الاعتراف بذلك اسرعت سعادتك بالاقتراب!

ـ اني مللت من ذلك. هل يمكن نسيان هذا الموضوع؟ لا أطيق الدخول في نقاش هذا الصباح.

لم يقل شيئاً وتابعا تناول فطورهما، واتى ستاماتي بالبيض المقلي والفطر، وبعد خروجه سألت تارا زوجها:

ـ متى ستذهب الى اثينا؟

حاولت ان يكون صوتها طبيعياً قدر الامكان.

ـ لماذا تسألين؟

ـ لا لسبب. اتساءل فقط.

ـ سأطيل مكوثي هنا. واريد وعدك لآخذك معي.

لم تعجبها هذه النتيجة. يجب ان يذهب عاجلاً ام آجلاً، ولكن متى؟ لا يستطيع ان يهمل أعماله الى الابد.

ـ اذن عليك ان تنتظر وعدي. ومن المؤكد ان التزاماتك في اثينا لن تصبر عليك كصبري في اعطاء الوعد.

اخافتها نظراته وتشنجات وجهه واخذت اعصابها تتوتر. يا إلهي! دعه يذهب. دعه يواجه مشاكل او مصاعب او اي شيء فيضطر للذهاب!

ـ يبدو انك تستعجلين ذهابي. هل لديك سبب؟

هزت تارا رأسها ولم تنظر الى صحنها. اضاف زوجها:

ـ تكونين مخطئة تماماً اذا اعتقدت ان خدمي سيخاطرون بوظائفهم عندي اذا هم تهاونوا في مراقبتك.

كوني عاقلة وقدّمي لي هذا الوعد.

احست باليأس يدخل الى قلبها. ولكن ما عتمت بعد دقيقة ان واتتها فكرة أعطتها أملاً جديداً. وتكلمت متصنعة اليأس في صوتها ومحاذرة ألاّ يكشف كلامها عن نواياها:

ـ قد أرغم في النهاية على اعطاء الوعد.

تنهدت بطريقة جعلته يصغي بانتباه وخفضت كتفيها حزناً. وأضافت:
ـ كسبت كل جولاتك في معاركك معي يا ليون، ولا ارى سبباً يمنعك من ان تكسب هذه الجولة ايضاً.
ارتجفت شفتاها ووضعت شوكتها وسكينها في الصحن كأنها فقدت شهية الأكل.
ـ ارى انك بدأت في التعقل. كنت اعرف انك تتقبلين الحقيقة في آخر الامر.
كان بادي السرور اذ ان شفتيه ابتسمتا وبدا الارتياح في عينيه.
نظرت في عينيه وازدردت ريقها آملة ان يكون لاحظ ذلك. وكل همّها الآن ان تجعله يلاحظ تردّدها في اعطاء الوعد. وان يقبل بالفكرة التي توحيها له.
ـ لن تنال هذا الوعد الآن.
جعلت صوتها يرتجف ليدل على انها هزمت وتابعت تقول:
ـ انك لم تحطم ارادتي كلياً بعد.. بالرغم من كل محاولاتك.
ـ ليست لدي اية رغبة في تحطيم ارادتك.
ـ لك كل الرغبة. كم مرة قلت لي انه يتوجب علي اعتبارك سيداً لي؟ كم مرة حصلت مني بالاكراه على ما ترغب فيه؟
ـ كل ما اريده منك هو ان تتوقفي عن معاكستي.
امتنعت عن المضي في الجدال ومضت بضع دقائق لم يقولا اثناءها شيئاً. وبعد ان جمع ستاماتي الصحون وذهب بها الى المطبخ. قال ليون:
ـ اذا قبلت بمبدأ اعطاء الوعد فالافضل ان تعطيه الآن. لم تزوري الجزيرة بعد ولم ترَي شيئاً خارج نطاق الفيللا. انت حمقاء يا تارا.
ـ لا يمكنني اعطاؤه الآن. يجب ان اتروّى... امهلني قليلاً.
طلبت الامهال بصوت كلّه توسل ورياء وفيه رنّة لوم على عدم صبره. كانت دائماً صريحة ومخلصة معه ولكنها الآن ولأول مرة في حياتها تلجأ الى الخداع.
وافق ليون وهو يتنهد:
ـ حسناً سأمنحك مهلة.
وأضاف:

ـ ارى ان لا خيار لي غير ذلك.
فهمت من نظرته انه ما يزال يعتبرها عنيدة. ليعتقد ما يريد شرط ألا يكشف نواياها.
ربحت هذه الجولة اذ قال لها بعد مضي عشرة ايام انه ذاهب الى اثينا.
ـ احب ان ترافقيني الى اثينا يا تارا. والوعد؟
ـ ربما اتيت معك المرة القادمة. اتمنى لك رحلة موفقة.
خجلت من نفسها لأنها كانت تخدعه. ولكن لم يكن لها خيار آخر.
ـ لو تأتين معي ستكون زيارة متعة ايضاً. وستعجبك اثينا بمعالمها ومشاهدها.
ـ سمعت عنها الكثير وسأزورها يوماً.
ـ اذن تعالي معي.
كان صوته هادئاً وطبيعياً جداً يخلو من لهجة الامر او الغطرسة. ولما رفعت عينيها ونظرت اليه أحبّت فكرة مرافقته. ولكن كان عليها ان تعده، والوعد يعني الوفاء. وعندها يكون قد فات الأوان.
ـ المرة القادمة.
كانت في غرفتها عندما دخل وعانقها قائلاً انه ذاهب.
ـ فيك الكثير لتقدّميه لي.
ونظرت اليه وهو يهرول نازلاً الى الميناء. كان رشيقاً مليئاً بالشباب والحيوية في كل حركاته. وأسفت لأنها ستحرم نفسها منه اذا هي تركته.
لن يتأخر نيقولاوس عن المجيء. فقد زارها ثلاث مرات في الغياب السابق لزوجها. وفي كل مرة كانت تخشى ان يطلع احد خدم ليون على ذلك. ولكنها لم تقلق كثيراً نظراً للفارق الكبير بين طبقته وطبقة الخدم خاصة في بيت ليون. وامضت بعد الظهر تتجول في انحاء الحديقة وهي تتطلع الى قدوم صديقها في كل لحظة. ربما لم يكن نيقولاوس على علم برحيل ليون بعد. او ربما عدل عن تقديم المساعدة لها معتبراً ان هذه المجازفة لن تفيده بشيء.
حلّ وقت العشاء ولم يحضر، وعندما كانت ستجلس الى المائدة دخل ستاماتي قاعة الطعام وأخبرها ان زائرة تريد السيد ليون.
ـ اسمها الآنسة فلورو يا سيدتي. ترغب في مقابلة السيد ليون، لكني قلت

لها انه مسافر، وهي موجودة الآن في غرفة الجلوس.

هذه إلين! أنت لتري ليون...

- احتفظ بعشائي ساخناً يا ستاماتي.

وجدت إلين جالسة تحمل سيكارة بين اصابعها الطويلة الرشيقة. حيّتها تارا وهي معجبة بالوضع الرزين المحترم الذي تتخذه بسهولة.

- تريدين مقابلة ليون...

- قال ستاماتي انه متغيب. كان بودي محادثته في موضوع عرض الازياء المقبل في اثينا. آسفة لأني لن اتمكن من رؤيته. ذهب اليوم؟

- نعم.

- سأراه عند عودته.

القت إلين نظرة احتقار على ملبس تارا التي لم تر ضرورة في تغيير السروال والقميص الى لباس رسمي وهي وحيدة.

- لم ترغبي في الذهاب معه؟

- أفضل البقاء هنا.

- كنت اعتقد انك تحبين ان تكوني برفقته.

- ربما رافقته في المرة القادمة.

جلست تارا وتمنت ان تسرع إلين في الذهاب. لا ترى دافعاً لأن تطيل اقامتها ما دام الشخص الذي تريد رؤيته لم يكن موجوداً.

- سيكون كثير الانشغال في المرة القادمة لأهمية العرض، اذ سيأتي مشترون من بريطانيا وباريس واميركا.

كانت تتكلم بترفّع كأنها تحاول ان توحي اليها بأنها تعرف كل شيء عن مؤسسة هيرا مقابل جهل تارا المطبق.

- اعتقد انك تعرفين اني النموذج الأول لليون.

- ذكر شيئاً من هذا القبيل.

اضافت إلين بشيء من الكبرياء:

- ليون لايساوي شيئاً بدوني.

- صحيح...؟

رفعت تارا حاجبيها استغراباً وتهكماً واضافت:

- ولكن لا يوجد انسان لا يمكن الاستغناء عنه!

تورّد وجه إلين من الغيظ. وضعت السيكارة بين شفتيها وسحبت نفساً وهي تسلّط نظرها على تارا من خلال الدخان.

- هل علمت اني كنت مخطوبة الى ليون؟

فوجئت تارا بهذا القول وقالت:

- هذا قول لا يعاد امام زوجته. ألا تظنين ذلك؟

لم تتأثر إلين بهذا بل ثبتت نظرها على تارا التي كانت توشك ان تبكي.

- انه تخلّى عني بطريقة غير لبقة والكل يعلم بالأمر. واستغرب انك تجهلين ذلك.

بقيت نظراتها الثابتة مسلطة على تارا التي كانت تعتقد ان إلين تتكلم بهذه الطريقة مدفوعة بغريزتها الانثوية او لأنها تحسدها على كونها زوجة ليون.

- لا اعرف كيف التقيتما او كيف تزوجتما، ولكني اعرف انه تزوجك في نزوة غضب او حقد. وكنا قد تشاجرنا قبل ذلك، ولكن شجارنا لم يكن ذا بال. غضب لأنه اعتقد اني...

توقفت فجأة كأنها غضبت من نفسها لأنها كشفت الكثير. ولكنها اضافت على الفور قائلة:

- هذا هو ليون، مندفع، متقلب.

هزت تارا رأسها وقالت:

- زوجي ليس مندفعاً. لماذا تقولين ذلك؟

- بسبب قصر المدة التي تزوجتما فيها.

سحقت إلين طرف السيكارة في المنفضة. ومدّت يدها لتأخذ واحدة من علبة سكائر ذهبية امامها وقالت:

- لم يتسع له الوقت الكافي ليتعرف عليك بما فيه الكفاية.

تجاهلت تارا هذا التعليق، ولكن إلين اصرت على معرفة ذلك فسألت:

- كم طالت مدة التعارف بينكما؟

- لا يهمّ ان يعرف الناس طول مدة تعارفنا.

- انه لا يحبك... لا، لا تقاطعيني! لو كان يحبك لأخذك معه. غاب عنك مرتين ولم تكوني معه في أيّهما.

ونظرت إلين الى تارا بإمعان ثم اضافت:

ـ كان من المستحيل ان يسافر دون أن يأخذني معه عندما كنا مترافقين.
ـ كان في امكاني الذهاب معه، لكني فضّلت البقاء هنا.
ـ هذا يعني انك لا تحبينه ايضاً. هل تزوجته من أجل ماله؟
كاد الغيظ يخنقها. تأكد لتارا ان الغيرة تقتل إلين ولا تبالي بما تقول.
وقفت تارا وقالت وهي تشير بيدها الى الباب:
ـ بما انك اتيت لتقابلي ليون، فأنا متأكدة انك لا ترغبين في البقاء اكثر من ذلك. ان عشائي ينتظرني. وسأُعلم ليون بأنك اتيت وقد يتصل بك تلفونياً.
بلعت إلين هذه الاهانة ووقفت بكل رشاقة فاتجهت نحو الباب وهي تنظر الى تارا نظرة احتقار. وكانت تجيبها بثقة اكثر منها تحية عندما قالت:
ـ طابت ليلتك.
ـ وليلتك يا آنسة فلورو.
رافقتها تارا حتى الباب الامامي رغم وجود ستاماتي ليفتحه لها.
ـ عشاؤك جاهز يا سيدة ليون.
ـ اشكرك يا ستاماتي.
نظرت تارا اليه ورأت في عينيه الدهشة والاستغراب اللذين لاحظتهما في عيني كليانثس عندما قدّمها ليون على انها زوجته. وتذكرت كلمات كليانثس حينذاك:
ـ زوجتك يا سيد ليون؟ والآنسة...؟
كاد يلفظ اسم إلين ولكنه توقف في الوقت المناسب. كان كل خدم ليون وجميع سكان هذه الجزيرة الصغيرة يعرفون العلاقة المتأصلة بين ليون وغوذجه إلين، وكلهم كانوا يتوقعون ان يتزوجها.
هل يهتم ليون بها؟ يصعب ان تصدق تارا ان ليون يهتم بأحد غير نفسه. الحب شيء يكاد لا يعرف منه شيئاً.

١١ ـ خطة الهرب

بدا انتظار تارا لزيارة نيقولاوس أبدياً. نهضت مبكّرة من نومها مما جعل النهار أطول وأثقل على اعصابها. لم يقل ليون كم سيطول غيابه وقد يعود في اليوم التالي او نفس اليوم. لا، لن يعود الليلة اذ ليس من الممكن ان يكون قد أنهى اعماله في هذه البرهة الوجيزة.
ـ لماذا لا تأتي يا نيقولا! لماذا؟
كانت تمشي من غرفة الى اخرى وتتفرج على بلاطها المرمري وسقوفها المزينة واثاثها الثمين ذي الطراز القديم وعلى آنية الصيني الهشّة. وحاولت ان تركز افكارها على اشياء غير الهرب. اقتربت من النافذة ووقع نظرها على النافورة الجميلة فاجتذبها جمالها لتخرج الى الحديقة حيث السلام والهدوء. ولكن السلام لم يجد طريقه الى قلبها ولا الهدوء ان يطرد منه القلق والشك.

واذا تخلى نيقولاوس عنها فستكون نهاية حياتها. اذ سترغم حينئذ على اعطاء الوعد او انها ستجنّ! لا تستطيع ان تتحمل هذا السجن اكثر من ذلك. واذا ولدت طفلاً هنا فلن تتمكن من ترك الجزيرة الا بعد سنوات. وسيتبع الطفل الأول طفل ثانٍ وثالث... من يدري؟

تابعت تجوالها في الحديقة وكانت تنظر الى ساعتها بين لحظة واخرى.

ـ نيقولا، أرجوك... تعال!

ستصيبها الهستيريا اذا ظلت على هذه الحال. ولذا عزمت على عمل شيء. عادت الى البيت وتناولت كتاباً لتقرأ في الحديقة، ولكنها لم تستطع ان تركّز افكارها. نظرت الى الازهار والى الفراشات الجميلة فلم تتأثر بأي منها بعد ان كانت تجد فيها متعتها الكبرى. نهضت لتمشي ولم يلفت نظرها أي شيء، وتطلعت الى الافق فرأت البحر، هذا البحر الذي خيّل اليها انه سينقلها الى ارض الحرية.

كان دافوس وكليانثس يرشّان شجر البرتقال والليمون بمرشوش ضد الحشرات. ورأت دافوس يوّجه نظره الى نقطة معينة بعد اشارة من زميله. وتبعت تارا اتجاه نظرهما فرأت رجلاً يصعد الطريق نحو البوابة الكبرى. توقف الرجلان عن العمل وانتظرا، لكن تارا ادارات ظهرها اعتقادا منها ان الرجل آتٍ ليرى أحد الخدم. كانت جالسة امام البيت والكتاب في يدها عندما اتى كليانثس والرجل بصحبته.

قال الرجل:

ـ معي رسالة للسيدة ليون، نسوا ان يرسلوها اليك عندما وصل البريد هذا الصباح. قد تكون مهّمة ولذا أتيت بها شخصياً لأسلمها لك.

كانت لغته الانكليزية ركيكة. نظر حواليه وحكّ شعر رأسه وقال:

ـ الحرّ شديد! انا عطشان واستطيع ان اشرب قدحاً كبيراً من الماء!

كانت نظراته مثبته في عيني تارا، وفي أسرع من البرق فهمت كل شيء وصرخت في وجه كليانثس:

ـ حالاً، كأس ماء... او تحب شراب الفواكه؟

ـ جميل جداً! الكثير من عصير البرتقال!

انحنى كليانثس ولكنه قال قبل ان يذهب:

ـ لم أرك من قبل.

ـ اتيت لزيارة اختي. هي سيدة... سيدة البريد؟

كان من الواضح انه يعني مديرة مكتب البريد.

قال كليانثس:

ـ اخوتها كثيرون. اهلاً بك الى جزيرتنا.

ـ شكراً جزيلاً!

ابتسم عندما قال ذلك وكشف عن عدد لا بأس به من أسنان الذهب.

ـ سآتي لك بالشراب.

ذهب كليانثس ودعت تارا الغريب لأن يجلس فجلس وأخرج مظروفاً من جيبه. أبقته في يدها برهة وهي تتساءل عما يمكن ان يحتوي الغلاف من... أخبار حسنة او اخبار سّيئة. امّا ان فيها خبر استعداد نيقولاوس ليساعدها او انسحابه من العملية لعجزه عن القيام بها.

تحسست تارا الغلاف ومن ملامستها عرفت ان في داخله قلماً. اذن نيقولاوس يريد منها جواباً. فتحت الغلاف والأمل يتسرب الى قلبها واخرجت منه ورقة مطوية، وسمعت الرجل يقول:

ـ انا سافاس، وسأنقل الجواب الى السيد نيقولاوس.

اومأت برأسها وبدأت تقرأ:

ـ قبل ان تستمري في القراءة، اكتبي على الغلاف مكان غرفة نومك بكل دقة واعطيه لسافاس.

كانت هذه الكلمات مكتوبة بأحرف كبيرة على رأس الرسالة. كتبت تارا على الغلاف ما طلب نيقولاوس وأعادته الى الرجل. كان قلبها ينبض بقوة وبدأت تشعر بأنها حرة.

وضع الرجل الغلاف في جيبه وفي هذه اللحظة اتى كليانثس بالشراب ولم يغب الا دقيقتين. وهنا فهمت تارا معنى وقيمة العبارة المكتوبة بأحرف كبيرة والتي تعجّلها بالرد، وليساعدها في تعجّلها وضع قلماً مع الرسالة.

كان كليانثس واقفاً ينظر الى سافاس وهو يجرع شراب البرتقال.. ومن ثم رافقه الى البوابة. وضعت تارا الرسالة في جيبها ودخلت البيت. ولما آوت الى غرفتها، قرأت ما كتب لها نيقولاوس بينما كانت دقّات قلبها تعلو وتهبط حسب مؤثرات الرسالة:

«عزيزتي تارا

بالرغم من اني عرفت بسفر ليون المبكر هذا الصباح، رأيت من الانسب الا آتي اليك. . . وانا متأكد من ان هذا هو رأيك ايضاً. ومن المستحسن ان نبقي كل شيء سراً بقدر الامكان. ولذا ذهبت البارحة الى بوروس ورجعت برجل يقوم بأعمال على زورقي من وقت لآخر. سافاس غير معروف مطلقاً في هيدرا وهذه الحيلة ستنجح. اما الخطة فهي كالآتي: اريدك ان تكوني جاهزة في الساعة الثانية صباحاً عندما اضع سلّماً تحت نافذتك. واذا رغبت في اخذ بعض الثياب ضعيها في صُرة وارمي بها من النافذة وسأضعها في حقيبة فيما بعد. لا تستعملي اية حقيبة لأن صوتها يوقظ الخدم. ضعي حراماً على حجر النافذة لكي يرتكز عليه وهكذا لا يخرج صوتاً. هذا كل ما هو مطلوب منك. وسأعيد سافاس الى بوروس الساعة السابعة من هذا المساء وهكذا يكون بعيداً عن الانظار. وسيكون زورقي جاهزاً وسيقلّك الى بيراوس. لا ادري لماذا اقوم بهذا العمل. ربّما لأنه مثير، او ربما لأني احب ان أنقذ فتاة من مأزق، او ربما لأني احببتك كثيراً».

كان على الرسالة توقيع نيقولاوس فقط. مزقت تارا الرسالة قطعاً صغيرة جداً ورمتها في التواليت واختفت مع الماء.

لم تمرّ تارا ابدا بوقت اطول من الفترة بين قراءة الرسالة وبين فتح النافذة بكل هدوء ووضع الحرام عليها كيلا تتسبب في أي صوت. كل شيء حاضر وتطلعت من النافذة الى الحديقة فلم تر شيئاً بسبب الظلام الدامس. كان قلبها يدق بسرعة كبيرة وأعصابها مشدودة. لم يكن هناك اي صوت او حركة وكانت صرة الثياب في النافذة. ها هوا تصورت انها رأت شبح رجل يتحرك. . . وان السلّم رفع الى النافذة.

حبست انفاسها وهي تتوقع ان يتأرجح السلم بسبب ثقله فيهوي الى الارض يصطدم بالحائط او باحدى النوافذ الاخرى. لكن نيقولاوس قوي وقد وضع السلّم في مكانه. رمت تارا بالصرة الى أسفل وكانت على وشك ان تعبر من النافذة وتضع قدمها على درجة السلّم عندما رأت ظل رجل آخر يتحرك ومن ثم يركض مسرعاً الى الناحية الاخرى من الحديقة. وجمدت في مكانها عندما رأت ظل رجل ثالث، طويل وذي خطوات سريعة. . .

شعرت ان قلبها توقف. لا، غير ممكن! هذا غير حقيقي! من المستحيل

ان يكون ليون هنا في هذا الوقت من الليل! ومن الرجل الطويل الآخر السريع الحركة؟ كادت تموت من الرعب وتسمّرت في مكانها عندما رأت الشبح واقفاً يتفحص المكان ومن ثم ينحني ويلتقط الصرة. وفي اللحظة التالية رأته يرمي بالصرة على الارض ويركلها برجله ويشتم. . . كاد يغمى عليها.

كانت ما تزال مسمّرة في مكانها عندما دخل زوجها غرفة النوم بوجه لم تتميزه بسهولة من حدة الغضب. كان دمه يغلي حتى بدا كأنه الشيطان نفسه. والآن ماذا سيعمل بها؟ رأت الغضب يتملك زوجها في السابق كثيراً ولكن ليس بالدرجة التي تراه فيها الآن. انه سيقتلها حتماً وبحركة غريزية وضعت يدها على عنقها. نعم، سيخنقها الآن. . .

ـ من كان يساعدك؟

صدمها صوته الهادىء وأحست انها مريضة معقودة اللسان.

ولما لم تجبه سألها ثانية وبصوت هادىء ايضاً:

ـ سألتك سؤالاً!

كانت تبتلع ريقها وتبكي.

ـ لن. . . لن اقول لك! لن اقول لـ. . . لك!

ـ ستقولين. . . والا اضطررت الى تعذيبك!

قفز قفزة خفيفة وأمسك بيدها فأحست بألم شديد فيها وصرخت.

ـ أجيبني!

كشر عن أسنانه وبدا كأنه نمر يستعد للهجوم على فريسة.

ـ اجيبني قبل ان أميتك خنقاً!

ـ لا. . . لا استطيع.

رفعت رأسها وكانت تعرف ان نقطة دم لم تبق في وجهها. وتساءلت عن الحظ المشؤوم الذي اتى به في تلك اللحظة بالذات بينما كانت على وشك التخلص من قبضته المخيفة. كان الشيطان بجانبه. . . انه الشيطان بنفسه!

ـ ارجوك الا. . . تطلب مني ما. . . ما يمنعني شرفي من. . .

ـ شرفك! انت تكلمينني عن الشرف؟

رماها بنظرة جعلت جسمها المرتعد يتقلص. لم يتكلم ولكن عينيه كانتا

تعبّران عن ازدراء أقوى من الكلام.

ـ ذلك الوضع الذي تكلّفته قبل سفري لتظهري نفسك في موقف المهزوم والوعد الذي أملتني به لأصدّق انك استسلمت بعد ان خسرت كل الجولات، كان كل ذلك جزءاً من مخطط الهروب الذى صممته سلفاً. اليس كذلك؟

كانت هزّاته من أعنف ما عرفت، ولما رفع رأسها اليه ارغمها على النظر اليه.

ـ اليس كذلك؟

اشارت بعينيها بنعم وهي تتساءل عن مدى احتمالها وما اذا كانت ستبقى واقفة على رجليها لو اخلى سبيلها.

ـ نعم، كان كذلك.

ـ مع من خططت؟ ربما رشوت أحد الخدم ليساعدك، وإلاّ فمن يستطيع مساندتك؟

ـ لا علاقة بأي من الخدم بهذا.

ـ لا تكذبي...!

أخذ يهزها هزاً عنيفاً وبلا شفقة.

ـ لقد شبعت من خداعك!

ـ لي مطلق الحق في ان أخدعك!

لم تعرف كيف خرجت هذه العبارة من فمها. وشعرت باصابعه تطوق عنقها فبدأت تحس بالاختناق، بدأت تقاوم وتتلوّى لتنقذ حياتها من موت محقق. في هذه اللحظة رفع يده عن عنقها وسألها بصوته الهادىء الناعم الذى يخفي وراءه عاصفة كاسحة:

ـ قولي لي مع من كنت تخططين للهرب بينما كنت تحاورين وتداورين معي؟

لم تعرف لماذا اغاظتها عبارتا «تحاورين وتداورين»، وبخفة لم ينتبه اليها افلتت منه وقفزت الى الطرف الآخر من النافذة.

ـ من حقي ان أخطط ولكل سجين الحق في الهرب. فكيف تجسر على اتهامي بأني اعمل في الخفاء بينما انا اعمل لأنقذ نفسي؟

وبالرغم من ان كلماتها لم تكن بحدة كلماته الا انها اغضبته.

ـ ما زلت انتظر اسم شريكك! من هو؟

كان ظهرها الى النافذة وأحست بالهواء يداعب شعرها. هل تقفز...؟ تفضل الألم الناتج عن هذه القفزة على الألم الذي سيسببه لها الآن وهو يتقدم نحوها بخطى ثابتة. تلمست حجر النافذة وامسكت به ولكنها لم تكن متأكدة من انها تستطيع ان تقفز قبل وصول زوجها اليها. فطن هذا الى نيتها فقفز وامسك بها. وفي الفترة القصيرة التي اقتضته لانزالها عن النافذة تسارعت الافكار في رأسها وفكرت بالعقاب. ارادت ان تستسلم الا ان مرأى عينيه المرعبتين وفمه الملتوي من الغيظ ويديه القويتين أثّرت فيها ومدّتها بقوة خارقة مكنتها من القفز الى النافذة والجلوس على حافتها، وصرخت:

ـ سأقفز. استعد...

ـ قفي! انت مجنونة... قفي!

كان خائفاً، ولأول مرة في حياته كان خائفاً. حاول ان يتقدم لكنها صرخت في وجهه:

ـ خطوة اخرى وسأقذف نفسي!

ـ تارا، لا تكوني حمقاء!

خفت حدة صوته قليلاً ولكنها كانت تعلم انه اذا أعادها الى رشدها ستعود الحياة كما كانت. كما تعلم ان سبب هياجه هو رفضها افشاء اسم من ساعدها، والويل لها اذا ضعفت امامه فانه لن يشفق عليها ولن يرحمها.

ـ انزلي عن النافذة! انزلي الآن!

ـ هذا ليس وقت القاء الأوامر. اتى دوري انا لأحمل السوط بيدي. وأفضّل ان اتسبب في أذى نفسي على ان اتأذى منك.

سمعت اسنانه تصطك ورأت يديه تنقبضان. أفرحها تغلّبها على خوفها لأنها متأكدة من انه لن يتركها تقفز، وفي هذه الحالة سيستسلم لها ويحدّ من كبريائه اليوناني. كان واقفاً امامها لا يعرف ما يفعل في هزيمته امامها. فحاول ان يقنعها بصوت ألطف:

ـ انزلي.

ـ لن انزل قبل ان تعدني بأنك لن تستعمل القوة معي ولن تجبرني على افشاء اسم من ساعدني في وضع السلّم...

والتفتت لتدلّ على مكان السلّم ففقدت توازنها وكانت على وشك ان

تسقط لولا انه اسرع بخفة مذهلة وامسك بها من ثيابها وانزلها. رمت نفسها عليه ووضعت رأسها على صدره واخذت تنتحب. طوّق جسمها بذراعيه ليمنعها من السقوط على الارض لا ليجعلها تشعر بحنانه. وعدا ذلك لم يتفوه حتى بكلمة عطف، وكان جسمه متصلباً. ولما رفعت نظرها الى وجهه عاودها الخوف من جديد. اذ كان ينظر اليها نظرته في كل مرة يريد ان ينزل بها عقاباً. قال بصوت هادر:

ـ انك فتاة مجنونة حقاً! يجب ان أجلدك لمسلكك هذا!

وبدلاً من جلدها عانقها بنفس العنف. كانت مقاومتها بلا فائدة لأنها فقدت كل قواها ورأت ان شعوره نحوها كان شعور السيد نحو خادمه لأنه كاد ان يتذوق طعم الاهانة والاستسلام عندما فرضت عليه شروطها.

تركها وأغلق النافذة. صحيح انه انقذ حياتها ولكن هل لتحيا حياة اطمئنان بعد الآن ام لتعود الى نمط حياتها السابق؟ هو هو في نظرته الحديدية. هو هو في بطشه الجامح. اخذها ثانية بين ذراعيه وقال:

ـ سأستجوبك مرة اخرى في الصباح. اما الآن...

عانقها واخذت ترتجف معتبرة عناقه عقاباً لها. وذكّرت نفسها ان وجودها تحت سقفه نتيجة اختطاف وارغام.

ـ حذرتك وقلت لك اني لن أؤخذ على غفلة.

ـ نعم، حذرتني يا ليون.

ـ هل تعرفين سبب وجودي هنا الليلة بدلاً من اثينا؟

ـ كلا.

توقع منها تعجباً او استغراباً ولكن كل ما سمعه كان صوت بكاء هادىء.

ـ ولكنك تودّين ان تعرفي.

هزت كتفيها وقالت:

ـ انت دائماً تكسب وستكسب دائماً.

ـ هل يئست الآن من الهرب؟

ابتلعت ريقها وكان قلبها يبكي من الحسرة. واجابت لكن بعد ان هز كتفها ليذكّرها بأنه ينتظر جوابها:

ـ اعتقد ذلك...

ـ لم أفطن الى معنى كلامك الا فيما بعد عندما قلت انك ستفكرين باعطاء وعدك. ورأيت ان هناك شيئاً غير طبيعي في قولك. فتراءى لي انك لم تكوني صادقة. وان طريقتك في الكلام ربما كانت خدعة. فسقطت في الفخ بعد ان جذبني الطُعم. ولن أفهم أبداً كيف انخدعت بهذه السهولة والتفسير الوحيد هو اني وثقت فيك. ولكن هذه الثقة تلاشت حالما تفتح ذهني، فاستأجرت زورقاً سريعاً وأتيت بأقصى سرعة ممكنة.

توقف ودهشت لان شفتيه كانتا ترتجفان وجبينه يعرق.

ـ يجب ان تعرفي ان ما عندي يكون ملكاً لي، يا زوجة، واعتقد الآن أنك ستعتبرينني زوجاً لك... وسيّداً.

تنهدت وأشاحت بوجهها. ولكنه أدارها نحوه وثبت نظره في نظرها. سألته وهي تتلعثم:

ـ هل ستسيء معاملتي غداً؟

ـ أنا اسيء معاملتك؟

بدأت يده تعبث بأزرار بلوزتها.

ـ اي بارغامي على اعطائك اسم من وضع السلّم؟

ـ سأستجوبك وأستجوب الخدم ايضاً. لن يتجرأ أحدهم على الكذب.

فكرت تارا في دافوس وكليانثس اللذين رأيا الرسالة عندما اتى بها الرجل. سيعرف بها حتماً وسيكون يوم غد كابوساً بالنسبة اليها.

ـ لن اقول لك ابداً. يمكنك ان تقتلني، ولكنك لن تعرف من ساعدني.

ـ لن اقتلك...

بدأ الآن عملية عناقه ولم تختلف هذه بتفاصيلها عما سبقها من عمليات مماثلة.

ـ في حياتي كلها لم استمتع بوجود امرأة كما استمتع بك.

نسيت تارا مغامرة تلك الليلة وخوفها من المستقبل.

١٢ ـ الوعد المرير

في الصباح وجّه ليون عدة اسئلة لتارا ولم يحصل على شيء، فأخذ يسأل خدمه واحداً واحداً وكل ما ناله من معلومات هو الرسالة فقط.

ـ من بعث لك هذه الرسالة؟

رفضت تارا ان تبوح باسمه.

ـ طبعاً، لم تأتك في البريد.

ـ كلا، كانت من الشخص الذي ساعدني.

ـ ما زلت مصمماً على الا تعطيني اسمه؟

تملكته الحيرة كيف استطاعت تارا ان تتصل بالناس مع كل هذه المراقبة.

ـ هذه اعمال نذلة جرت من وراء ظهري، ولن يستريح لي بال قبل ان

أكشف سرها.

تطلع فيها، وكانا بعد في غرفة الجلوس حيث استجوب خدمه.

ـ تأكدي من اني سأضع عليك رقابة أشد من الآن فصاعداً.

علقت على قوله بهزة كتف دون اي انفعال:

ـ كل هذا لا يهمني بعد الآن يا ليون. فأنا سجينتك ولن تسنح لي فرصه للهرب لمدة طويلة جداً.

نظرت اليه وهي ترى نفسها مستلقية بين ذراعيه. كانت في السابق تدير له ظهرها. لكنها هذه المرة ارادت ان تبقى بين ذراعيه اطول مدة ممكنة. ان تبقى في حماية ذراعين قويتين كلهما دفء وحرارة. وعندما أتى الصباح طلبت منه ان يبقيها في حماية ذراعيه.

ـ حتى اذا اعطيتني الوعد لن أثق فيك بعد الآن. أظنك تعرفين هذا.

قالت بهدوء واستسلام تامّين:

ـ سأعطيك الوعد اذا اردت وسأحترمه وفي كل الاحوال، اذا لم تثق بي بعد الوعد فلن استغل استعماله. اذ اني سأعيش كما عشت منذ مجيئي الى هنا.

تغلب عليها البكاء وكأنها غضبت من نفسها لأنها تبكي. هزت يدها امام عينيها وقالت وكأنها تكلم نفسها:

ـ ما الفائدة من الدموع؟

ـ لا احب ان اراك تبكين.

ـ لا اعتقد ان بكائي يؤثر فيك.

نهض من مكانه ومشى الى النافذة واضعاً يديه في جيوب سرواله. تأملت ظهره المستقيم وعضلاته القوية. وأحست بشيء مثل شعور داخلي لا تفهمه يتحرك فيها. ما الذي تغيّر فيه؟ قبل بضع ساعات كادت تقذف بنفسها من النافذة وكان يمكن ان تموت او تؤذي نفسها. استغربت من نفسها كيف شعرت بنصر التفوق عليه عندما هدّدته بالقفز من النافذة اذا لم يخضع لشروطها. وشعرت بقشعريرة الخوف تسري في عروقها لمجرد التفكير في ذلك. وعرفت انها لم تكن تستطيع ان تنفذ ما هددته به، ولكنها أسفت لأن الحظ لم يسعفها كي تصل الى بغيتها. كانت تريد فرض شروطها والحصول على مناها في ان تكون بدون مراقبة. ولكن القدر تدخّل وأنقذه من مذله الهزيمة. وبينما كانت تتوقع تهديداً او عقاباً أتاها عناق

طويل. كان في حينه خائفا كثيرا... هل سبب خوفه اعمق مما استطاعت استنتاجه؟ كانت تعتقد انه يريدها فقط، ولكن الرعب الذي اصابه وهي تهدد بالقفز يعني اكثر من ذلك بكثير. ولكن ماذا يعني؟

التفت نحوها وقال:

- اشعر انك ستحاولين دوماً ان تهربي مني يا تارا.

عبست بسبب رتابة صوته، وبدا لها انه فريسة لليأس. واضاف يقول:

- لم أصدق ابداً انك ستهربين فعلاً.

- ولكنك كنت تصدق انك تستطيع الاحتفاظ بي.

- نعم، وكنت متأكداً من ذلك.

كانت عيناه تحلمان وعاد فجلس حيث كان سابقاً. وكان هذه المرة غير مستقر وفاقد الهدوء ولم يبد انه نفس الرجل المترفع الواثق من نفسه. لأول مرة رأت تارا ان فيه شيئاً من التواضع أذهلها، ولكنها لم تبال بذلك مطلقاً.

وتواضعه هذا غريب عن طباعه المعروفة بالسيادة والسيطرة اللتين كانتا موضع اعجابها حتى وهي تقاومهما.

ولكنها لاحظت فيه نقصاً معيناً... ما هو؟ جاذبيته...؟ نظرت الى يدها وظنّت أنها تحس بشيء غامض يحدث لها.

تكلمت بصوت هادىء ولطيف:

- قلت لك ان الانسجام الجسمي ليس كافياً. أتذكر؟

- أذكر.

كان جوابه جافاً وسريعاً.

- الزواج يجب ان يتقوى بالحب.

- كنت تحبين ديفد ام كنت تعتقدين ذلك؟ وهل تعتقدين حقاً انكما كنتما عشتما سعيدين لو تزوجتما؟

- طبعاً.

ولكنها لم تكن متأكدة من اعتقادها هذا اذ داخلها بعض الشك في مستقبلها مع ديفد.

- طبعاً؟ ام انك لست موقنة؟

كانت عيناه تتفحصان عينيها بإمعان.

كانت حالة عندما هزت رأسها ونظرت اليه شاردة وهي مصعوقة بالاكتشاف الذي اخذ يحتل ذهنها تدريجياً. من المستحيل ان تكون قد وقعت في حب هذا المسخ! في حب هذا اليوناني الغريب الذي لم يفوّت ايه فرصة ليفرض عليها سيادته وليهزأ بها أو يبرهن على تفوّقه بطريقته الوقحة.

- انا... انا متأكدة من ذلك.

ضحك ورفع حاجبيه:

- من تحاولين ان تقنعي يا تارا؟

ها هو قد استعاد ثقته في نفسه وتلاشى تواضعه. هذا هو ليون الذي عرفته واعتادت عليه... والذي أحبته...

نعم، أحبته، ولا يفيدها انكار ذلك مهما حاولت. فكرت في العيش بدونه. طبعاً سيكون حسناً! لا آمر ولا مأمور، ولا سيد يلقي الاوامر فيطاع. بدونه ستكون حرة... ولكن هل تريد حقاً ان تتحرر؟ الحياة بدونه... اغمضت عينيها كي لا ترى طريقاً موحشة باردة تمتد امامها بلا نهاية. كي لا ترى المستقبل المملوء بالذكريات التي ستبقى حية وواضحة. كلا! ليست بهذا الجنون لتقع في حبه. انه وحش وسيبقى كذلك. وقالت لنفسها:

- لا أحبه، وحتى ان احببته اكره ان ابقى بجانبه لأنه يؤمن بأن الرجل في هذا الجزء من العالم كل شيء والمرأة لا شيء!

- سألتك من تحاولين ان تقنعي.

تطلعت فيه وكانت عيناها ذاهلتين دامعتين. اصبحت حياتها عبارة عن هزات متتالية بسبب هذا الرجل الذي اختطفها ممن تحب. نعم ديفد هو الذي تحب! وكانت تعرف ذلك طيلة الوقت.

- اعرف ان ديفد هو الذي أحب واؤمن بأنه كان سيمنحني السعادة كل حياتي.

- اخبريني عنه. اخبريني عن مظهره.

لم تكن في وضع يمكنها من الكلام.. لكنها اخبرته بكل شيء وبالآمال التي كانت تجمع بينهما. تكلمت بحنين المتلهف الى الذكريات عن تأثيث بيتهما الصغير الجميل الذي اشترياه بالتقسيط. تكلمت عن بهجتها عندما تنهض يوم زفافها وتجد الشمس مشرقة.

ـ كان ثوب العرس جميلاً...

توقفت لتمسح دمعة نزلت من عينيها وانزلقت على وجنتها الشاحبة. ولاحظت في نفس الوقت ان ليون ابتلع ريقه كأنه يحاول ازالة شيء لاصق في حلقه. وان يديه كانت تنطبقان وتنفتحان بعصبية تلقائية مما يدلّ على انفعالات قوية تتحكم به. فيم كان يفكر؟ لم تستطع ابداً ان تقرأ افكاره...

وكادت تختنق من التأثر وهي تقول؟

ـ انت لم تعتبر ان ثوب العرس كان جميلاً... لذلك رميته في البحر.

لم تقصد بهذا الكلام ان توبخه او أن تؤلمه... ولكنها دهشت عندما لاحظت رعشة في وجهه.

ـ ارى ان نغيّر الموضوع. وعليّ الآن ان اذهب الى مكتبي حيث سأعمل حوالي الساعتين وسألقاك بعدها في الحديقة.

نهض ورفعت تارا رأسها فأمالته الى الوراء وسألته بعد فترة وجيزة:

ـ هل تخليت عن بحث القضية... اعني قضية محاولتي في الهروب؟

نظر اليها طويلاً وجال بنظره على وجهها ثم اجاب:

ـ ستنجلي الحقيقة بكاملها يوماً، اما الآن...

ورفع يديه ورماهما الى أعلى دلالة على اليأس او الفشل.

ـ لا يبدو ان هناك شيئاً نكسبه من الاستمرار في التحري. ومن الطبيعي ان تصيبني الدهشة اذ لم يكن احد الخدم متورطاً. ولا أدري اذا كان هناك شخص تعرفينه خارج البيت...

وفجأة توقف وتطلع فيها وسألها:

ـ هل زارك أحد اثناء غيابي؟

ـ زائر؟

عرفت انه شك في زائر معين لأنها تحادثت مع نيقولاوس معظم وقت العشاء. وارادت ان تكسب الوقت فقالت:

ـ قلت ان زائراً اتى ليراني؟

صرخ اسم الزائر في وجهها.

ـ نيقولاوس! نيقولاوس زارك، اليس كذلك؟

هزت رأسها نفياً وتذكرت إلين وهي تدخّن عندما زارتها فقالت:

ـ إلين كانت هنا.

ربما ينسى نيقولاوس ويتلهى بموضوع إلين

ـ إلين؟ هل هي التي ساعدتك؟ لا اعتقد انها تستطيع تحريك السلّم.

سألته بلهجة لاذعة.

ـ ما الذي يجعلك تفترض ان إلين ترغب في مساعدتي على الهرب؟

وأضافت:

ـ قد تساعدني. من يدري... فقد تفيد من إبعادي عن طريقها. الا تعتقد ذلك يا ليون؟ ما هذا الشجار الذي فصل بينكما وجعلك تتزوجني غيظاً وانتقاماً؟

كان هذا السؤال مفاجأة لم يتوقعها فسألها:

ـ هل كلّمتك عن شجارنا؟

ـ نعم، كلّمتني.

ـ وهل قالت شيئاً آخر؟

كان متلهفاً للمزيد، ولكن تارا رأت الحديث عن الفتاة التي كرهتها من اول نظرة بغير طائل.

ـ أفضل الا اقول شيئاً. لننسَ الأمر من فضلك.

ـ ألم تقل ما هو سبب مجيئها؟

ـ كانت تريد ان تراك بصدد عرض الازياء القادم الذي سيقام في اثينا. واعتقد انها ستتصل بك حالما تعلم بعودتك، وعندها يمكنك ان تسألها عما قالت لي.

ظهر عبوس في وجه ليون ونظر اليها كمن يريد ان يتكلم الا انه ادار ظهره ليذهب. وقال لها انه قد يتأخر عن موعد الغداء ثم خرج وأغلق الباب وراءه بهدوء.

مضى اسبوع آخر وكل شيء على ما هو عليه. وتمنت تارا لو تستطيع ان تنبّه نيقولاوس الى ان ليون يشتبه فيه بتقديم المساعدة لها. لن تقابله في أي حال لأن نيقولاوس الذي اوشك ان يقع في الجرم المشهود وهو يضع السلم تحت النافذة ترك الجزيرة على زورقه وذهب الى جزيرة خيوس حيث سيقيم اسبوعاً او اسبوعين عند صديق له.

طرأ بعض التغيير على ليون واصبحت حياة تارا اكثر بهجة قليلاً.

صحيح انها ما زالت تحلم وتخطط للهرب لكن المراقبة عليها أخذت تخف.

ـ هل تشعرين بالاستقرار الآن؟ تبدين لي اكثر انشراحاً.

كان الجو بينهما جو إلفة وتقارب وهذه هي الساعة الاولى التي امضياها مستمتعين بالسباحة دون أي توتر اعصاب.

نظرت اليه باهتمام كبير وابتسمت استجابة لابتسامته التي اعطتها انطباعاً بأنه ربما بدأ بالاهتمام بها او ربما وقع في حبها.

ـ اعترف بأني اكثر ارتياحاً الان.

قالت ذلك مقتنعة بأنه يجب سماع شيء من هذا القبيل دون ان يمنعها ذلك عن التفكير في طريقة للهرب.

كان في تلك الاثناء ينظر الى شعرها ووجهها وشكلها ويعجب بلون بشرتها التي اكتسبت لون الدراق العسلي. وعلّق على كلامها قائلاً:

ـ انا مسرور بما تشعرين. تستطيعين ان تجعلي من حياتنا نعيماً لو انك أقررت بالأمر الواقع وهو انك زوجتي مدى الحياة.

ـ واستسلم لك كسيّد مطاع؟

لم يعجبه جوابها الذي خرج من فمها كالسهم.

ـ لا اريد ان اسيطر عليك، ولكن اذا أثرت غضبي فستلاقين ما لا يعجبك.

لم يعد الجو منسجماً بينهما. تبلبل فكرها وأخذ قلبها ينبض بسرعة وقالت وهي تجفف رجليها:

ـ قولك بأنك لا تريد السيطرة عليّ يبدو شاذاً على سمعي ياليون، اذ ان اعمالك وتهديداتك المتكررة تناقض اقوالك.

ـ انت دفعتني الى معاملتك بهذا الشكل. و...

لكنها قاطعته وقالت:

ـ قاومتك عند ما كنت تلتهمني بنظراتك الآن هل تتوقع غير ذلك من المرأة؟

ـ انت امرأتي ولي حقوق الزوج.

نبرة الأمر والنهي لم تتغير. ورأت نفسها عاجزة عن الرد عليه منطقياً ولم تدر سبباً لذلك.

ـ انا امرأتك بالاكراه، ولا افهم قولك بأن لك حقوقاً عليّ.

ـ كل الرجال لهم حقوقهم على زوجاتهم.

ـ كلا. ليس كلهم.

هزت رأسها بقوة وقالت بحزم:

ـ فقط اولئك الذين لم يتمدنوا يفرضون تلك الحقوق.

ـ تقولين اني لم اتقدّم في الحياة؟

توقعت ان يقول أشياء أشد إيلاماً من ذلك. ولما رأت تعابير وجهه ظنت انه لا يرغب في الاساءة اليها.

ـ في كثير من طرقك انت تطبّق المدنية الغربية ولكن مواقفك من النساء والزواج ما زالت متأخرة. وفي رأيي انك لن تجد سعادتك الزوجية إلا في زوجة يونانية مثلك تأتيك من القرى النائية حيث التقاليد ما زالت قائمة.

كان صوتها وهي تتكلم رصيناً ومعتدلاً. ورأت وهي تتطلع في عينيه السوداوين انها تحبه وانها تكون سعيدة معه لو عرف ما تريده منه. وليون لا يختلف عن كثير من الرجال الذين يفضلون الحب على الرغبة. وكمعظم الرجال لا يفهم ان المرأة لا تستطيع فصل الاثنين. وهذا هو أحد اسرار الطبيعة الغامضة... وهو ان الرجال والنساء يختلفون في نظرتهم الى الشيء نفسه. فالمرأة تشعر بالحاجة الى الحب لترتمي في احضان الرجل والى مبادرة الرجل لها بالشعور ذاته.

وكما لو كان ليون يقرأ ما في فكرها قال:

ـ بما اني متزوج الآن فلا أرى كيف استطيع ان اتزوج فتاة يونانية من تلك القرى النائية التي ذكرتها.

ـ تأكد يا ليون اننا لن ننهي أيامنا معاً.

كان صوتها حزيناً، ولما لم يعلق بشيء قالت:

ـ في اليابان القديمة كانت المرأة تؤكد على حب الرجل لها قبل ان تقبل به زوجاً. ولذا كان الرجل يرسل اليها في صبيحة اليوم التالي ما يرمز الى حبه لها، واذا لم تتسلم هذا الرمز فلن يكون زواج او اية علاقة بينها وبين الرجل.

فتح ليون عينيه على وسعهما استغراباً وقال:

ـ لا اصدّق هذا.

ـ اعرف انك لن تصدقه.

شعرت تارا بمرارة في قلبها. واغتاظ ليون بسبب ما قالت ولم يعلق بشيء، بل نهض وتركها.

١٣ - هل جاءها الخلاص؟

مضى يومان نزل ليون بعدهما الى القرية ليقص شعره. واشترى بعض الثياب من عند مارغاريتا. وفكرت تارا فيما عسى ان يقول أهل القرية بصدد احتجابها عن انظار الناس. فالوحيدون الذين يعرفون السبب هم الخدم الذين يراقبونها.

وربما مارغاريتا ايضاً نظراً لعلاقتها الوثيقة بليون. مضت الاسابيع تلو الاسابيع لم ير فيها تارا الاّ القليلون. صحيح ان من عادة الزوجة ان تبقى في البيت مدة طويلة ولكن القرية تغلي من الفضول لرؤية العروس الجديدة. كان ليون يأمل في الحصول قريباً على تأكيدات من تارا بأنها لن تحاول الهرب. ولما طالت مدة انتظاره وقع في ارتباك كبير تجاه اهل القرية وتجاه معارفه في العاصمة حيث لم يعد اصدقاؤه وشركاؤه في الاعمال

www.elromancia.com

قادرين على كتمان دهشتهم بسبب احتجاب زوجته طيلة هذه المدة. ربما نجح ليون في اقناعهم باعطائهم عذراً معيناً. ولكن الى متى سيدوم هذا الحال؟ ربما كان عذره انها تنتظر ان تنجب طفلاً.

وتساءلت تارا عما تكون ردة فعله عندما يعلم ان كل آماله ذهبت ادراج الرياح.

وما كاد يتغيب عن البيت نصف ساعة حتى دهشت تارا عندما رأت ثلاثة رجال يصعدون نحو البيت على ظهور الحمير. قليلون هم الذين يقتربون من الفيلا. ولكن دهشتها تحولت الى ذهول سمّرها في مكانها عندما وقع نظرها على رجل لم تصدق عينيها اذ رأته. وصرخت وهي جامدة في مكانها:

ـ ديفد...

هذا غير ممكن. انها رؤيا، انه خيال!

في النهاية تمكنت من التحرك وكان كل عصب فيها يرتجف. ديفد هنا ومعه رجلان آخران. كلا! انها لا ترى أشياء في مخيلتها. وفي ظرف غير هذا كانت ستضحك من مظهرهم على ظهر الحمير. كان صاحب الحمير يجّر نفسه خلفهم لاهثاً، وهو عجوز يعتاش من تأجير الحمير لزائري القرية.

همست لنفسها:

ـ ديفد!

ـ تارا!

رفع يده ليحييها ولكنه أعادها ليمسك برقبة الحمار خوفاً من السقوط. خطت بعض الخطوات برجلين من عجين وبعقل توقف عن التفكير. هل سيعود ليون الآن؟ ربما لم يلحظهم في الميناء او في القرية.

ـ ديفد!

تحركت بسرعة اكبر واستطاعت ان تركض. اسرع ديفد نحو الباب ولكنها سبقته اليه وفتحته بينما كان الرجال ينزلون عن ظهور الحمير. وفي لمح البصر كانت تارا بين ذراعيه تبكي.

ـ ديفد، كيف عرفت...؟ كيف يمكن ان تكون هنا؟

اصابتها نوبة من الهستيريا وجعلتها تنتفض. الحرية! الحرية هنا بدون أي شك. لا شيء يقف في طريقها الآن... ولا أحد.

كان احد الرجلين شرطياً يونانياً والآخر شرطياً بريطانياً وكان كلاهما باللباس المدني. ولكنها لم تكن تعي الا وجود ديفد ولا تسمع الا كلماته الجنونية التي اختلطت بها عبارات الشرطي البريطاني وهو يحاول ان يعّرفها على نفسه وعلى زميله.

في هذه المعمعة كان دافوس واقفاً على حدة يتطلّع وهو قلق جداً. طلبت تارا من الشرطي الانكليزي ان يبعده عنهم فابتعد مسافة قليلة فقط وأخذ يشغل نفسه بغصن شجرة متظاهراً بأن ذلك جزء من عمله. وكانت عيناه في الوقت نفسه تتنقلان من الداخل الى الخارج خوفاً من مفاجأة ليون لهم. وسألها الشرطي الانكليزي:

ـ هل تسمحين لنا بالدخول؟ عندئذ نتكلم ومن ثم نتتبع خيط قضيّتك.

ذهب الشرطي اليوناني وكلّم دافوس بلغته. بينما سألت تارا ديفد وهي لا تزيح عينيها عنه:

ـ ما الذي أتى بك الى هنا؟ انها لأعجوبة! لا استطيع ان أصدّق انك هنا حقاً.

ـ تمكنت الشرطة من اكتشاف دليل بعد ان أمضوا أسابيع وهم يتخبطون في الظلام.

واخذ ديفد يسرد على مسامعها كيف حصلوا على الدليل من بوّاب المستشفى ولكن بعد ان عاد من اجازة طويلة دامت عدة اسابيع. تحرّت الشرطة عن كل من اتصل بتارا وكرّروا تحقيقاتهم مع موظّفي المستشفى.

وتحول ديفد الى موضوع له علاقة بالتحقيق قاصداً بذلك معاتبتها فقط اذ قال:

ـ لماذا لم تخبريني ياحبيبتي انه أرسل اليك باقة أزهار؟

ـ لم أستطع. لا تسألني عن تردّدي في اطلاعك على ذلك يادیفد. ظننتها مسألة عابرة ولذا لم أرد ازعاجك.

وهنا قال الشرطي مؤنباً:

ـ كما أخفيت المكالمات الهاتفية ايضاً.

وتابع يقول:

ـ لو انك أخبرت أحداً بذلك لكنا أعدناك منذ زمن طويل.

أضاف ديفد:

ـ تتبعت الشرطة الأثر الذي حصلوا عليه من البواب، وأدّى بهم الى اثر ثان حصلوا عليه من عاملة التلفون التي عندما ذكّروها باليوناني قالت ان رجلاً ذا لكنة غريبة كان يحاول الاتصال بك عدة مرات. ولكن العاملة امتنعت عن ايصاله بك نزولاً عند طلبك.

ونظر ديفد في عيني تارا ولكنها كانت نظرة تأنيب وتابع كلامه قائلا:

ـ قلت لعاملة الهاتف ان هذا الرجل يزعجك بإلحاحه.

اومأت برأسها واحمرّ وجهها اعترافاً بالذنب.

ـ كان يجب ان اطلعك على كل شيء ياديفد... ولا اعرف لماذا قصرت في ذلك.

كانت وهي تتكلم تعود بافكارها الى اللحظات الممتعة التي أمضتها بين ذراعي الرجل وهو ما زال غريباً عنها، فكيف تشكوه الى ديفد وهي شريكته في انفعالاته العاطفية؟

ـ لو اطلعتني لما خطفك. الم تعرفي ذلك؟

لم تجب بشيء لأنها ليست موقنة من تأكيدات ديفد. كما تعرف زوجها وقدرته في الحصول على ما يريد عندما يصمم عليه.

عاد الشرطي بعد ان حاول استخلاص بعض المعلومات من دافوس الذي قال عنه انه لم يفتح شفتيه كأنه اخرس. قدّم الشرطي الانكليزي زميله اليوناني باسم فيفوس مرياكيس وقدّم نفسه باسم اوسكار ستوارت.

قال فيفوس: ان دافوس مرتعب من رئيسه بالرغم من اني أخفته انا ايضاً.

ودخل الجميع الى البيت. وهناك في حرارة الغرفة الرطبة شعرت تارا بهدوء نفساني ساعدها على تقييم ما اعطوها من معلومات وحاولت ان تفهم الوضع الجديد الذي طرأ عليها ومكّنها لأول مرة من تذوّق طعم الخلاص والانفلات من قبضة زوجها ومن سجنها المؤبد. كانت الآن اكثر وضوحاً في اجاباتها على اسئلة الشرطيين. بينما كان ديفد جالساً يستمع. وفيما كانت توضح لهم بعض نواحي حياتها سمعت ديفد يئن عندما سمعها تتكلم عن الانذار النهائي الذي هدّدها به زوجها وعن الخيار الذي فرضه عليها، أي إما الزواج او البقاء معه بشكل اجباري.

ـ اذن انت متزوجة؟ يا له من حيوان!

ـ كان إما الزواج واما الخيار الآخر كما أوضحت لكم.

كادت تبكي وقد أثر فيها منظر ديفد الحزين بوجهه الوفي المخلص.

ـ اظنك كنت تفكر بما انا فيه من تعاسة يا ديفد؟

كان يرتعد وهو يتكلم:

ـ لم استطع التفكير بأي شيء سوى اني انخبّط في جحيم من التصورات!

كنت احاول ان أتحاشى التفكير في ان الفتاة التي أحبّها تعيش في عذاب.

لاحظت تارا انخفاض صوته والألم في عينيه وتعبير الاشمئزاز على وجهه الذي ما زال يجتذبها كما في السابق.

تعرف تارا ان ديفد لا يستطيع ان يتحمل حتى التفكير في أن رجلاً آخر امتلكها. انها تقدّر احساسه، ومع ذلك...

كان يتمتم لنفسه بحدّة:

ـ متزوجة، متزوجة من رجل آخر غريب... وهذا الغريب تسبّب لها في كل ذلك!

ـ ألن تستطيع ان تنسى ابداً اني كنت متزوجة من رجل آخر؟

كان سؤالها فضولياً تفوهت به بعد ان شعرت باحساس غريب لم تدرك مداه. كان سؤالاً فيه شكوك غامضة كالضباب. يوم اختطافها كانت تحب خطيبها حباً جماً وظنت انها ما تزال تحبه في ساعة اندفاع عاطفي كان ايضاً عرفاناً بالجميل عندما وجدته امامها فجأة. فهل من الممكن ان تحب رجلين معاً؟

ـ انا... انا... بحق السماء، لا توجّهي الي اسئلة كهذه في الوقت الحاضر! لا استطيع ان اركّز أفكاري...

ـ ألم تفكر في انك قد تفاجأ بهذا الاحتمال؟ اختطفت، ولكل اختطاف سبب. والرجل الذي اختطفني له مآرب فيّ...

ـ كفى يا تارا!

حاول الشرطي البريطاني ان يدخل في صلب الموضوع فقال:

ـ دعونا نبحث اموراً اكثر اهمية. أين زوجك الآن؟

ـ في القرية.

ـ نريد ان نحقق معه.
ـ كيف عثرتم عليه؟
ـ بكل سهولة. بواسطة الانتربول او البوليس الدولي.
ادخلت هذه الكلمة رعشة الى صميمها. اذ تعني انهم وضعوا زوجها في مصاف المجرمين، فقالت بانزعاج:
ـ انتربول...
قال الشرطي الانكليزي:
ـ أرغب في توجيه المزيد من الاسئلة اليك ريثما يأتي زوجك.
فركزت تارا كل انتباهها عليه. قال:
ـ بالطبع تزوجت من المستر بتريديس اختيارياً. وما لا أفهمه هو لماذا لم تستجيري بالرجل الذي زوّجك؟
اضاف ديفد:
ـ هذا صحيح. لماذ لم تستعيني به؟
قصت تارا عليهم قصتها من أولها الى آخرها، وهز الشرطي اليوناني رأسه حتى قبل نهاية قصتها فقال:
ـ لا توجد قضية ضده.
لكن الشرطي الانكليزي قاطعه قائلاً:
ـ حدثت عملية اختطاف وفي انكلترا بالذات...
ـ كان الاختطاف بنية الزواج. في اي حال، لا تستطيع هذه السيدة الشابة تقديم إفادة ضد زوجها.
اغتاظ الشرطي الانكليزي من هذا القول. اما تارا، فلم تتحمل صورة زوجها وهو يقاد مقبوضاً عليه ومخفوراً الى انكلترا. ويعرف ليون انه حتى لو حدث هذا لن تستطيع زوجته ان تشهد ضدّه حسب نصوص القانون.
وفطن ديفد الى نقطة معينة في عبارة تارا... ربما ارتياحها لعدم وجود قضية بحق زوجها... فسألها وهو يثبت نظره في عينيها:
ـ هل... ما زلت تحبينني؟
تردد في بدء سؤاله. ورأت تارا العلاقة بين صيغة هذا السؤال وصيغة سؤاله الأول عندما وصل الى بيتها، وهو اذا كانت ما زالت تحب زوجها.
أجابت تارا:

ـ كل ما أريده الآن يا ديفد هو ان أبتعد عن هذا المكان واعود الى انكلترا حيث سأحاول ان اتغلّب على محنتي.
ـ افهم ذلك يا عزيزتي. نستطيع ان نأخذك في الحال.
ابتسمت له. لكن ابتسامتها هذه المرة لم تعكس تلك الابتسامات التي كانت تعبّر في السابق عن ارتعاشها لدى سماعها كلمة «عزيزتي». ولم تحلم بأنها ستقابل هذه العبارة بفتور كما قابلتها الآن.
آه لو ان ليون يعرف هذه الكلمة... ولكنه لا يعرف كيف يستعملها! انها متأكدة من ان هذه الكلمة... عزيزتي... لم تخرج من فمه مرة واحدة طيلة حياته.
قال رجل البوليس اليوناني:
ـ كم سيأخذ زوجك من الوقت ليعود؟ بالرغم من اننا لا نملك دعوى ترفع ضده، نريد فقط توجيه بعض الاسئلة اليه. ونريد ان نخبره بأننا سنأخذك معنا.
توقف ونظر الى عينيها نصف المغمضتين وسألها:
ـ هل تصّرين على تركه؟
صرخ ديفد مجيباً عنها:
ـ طبعاً تريد ان تتركه! ألم توضّح ذلك بنفسها؟
نهضت تارا لتحضر لضيوفها بعض المرطبات. فطلب الشرطي الانكليزي فنجاناً من الشاي، بينما فضّل اليوناني شراباً مرطباً. اما ديفد فطلب قهوة فرنسية مع قطعة حلوى.
بعد فترة أقبل ستاماتي بطلباتهم وقدّمها اليهم. وقد علم بوجودهم من دافوس الذي كان قلقاً على الوقت. وفيما هم منهمكون بتناول مرطباتهم، قال ديفد لتارا:
ـ لماذا لا تنهضين وتوضّبين ثيابك؟ لا نستطيع التأخر عن زورق نقل الركاب. سيأخذنا الى الفندق عند المرفأ لنقضي ليلتنا هناك.
تساءلت تارا لماذا تقضي ليلتها في الفندق وهي موجودة في بيت. مما لاشك فيه انها تريد ان ترحل عن هذه الجزيرة حيث تعيش وحيدة في سجنها وتحت المراقبة ليلاً ونهاراً. الا انها فكرت بالمستشفى والثرثرات التي ستجري وراء ظهرها. كلا، لن تعود الى هناك ولن تستطيع ان تبدأ حياة

جديدة مع ديفد. وكل ما تريده الآن هو الرحيل أولاً ومن ثم التخطيط لما تريد ان تفعله بحياتها بعد ذلك.

١٤ ـ لن أقبل بالهزيمة

لم تشك تارا مطلقاً في ان زوجها لن يستطيع ان يدخل الى قلبها الخوف طالما هناك من يدافع عنها في شخص ثلاثة رجال بينهم اثنان من بلدها. ومع ذلك تململت عندما رأت ليون يدخل الحديقة ولم يخفف من احساسها هذا وجود الرجال الثلاثة. كان ليون يحمل علبة كرتون كبيرة تبتهج أي امرأة بالحصول على محتواها. ورأت دافوس يسرع اليه ويكلمه، ولم يتمهل ليون ليستمع الى بقية حديث دافوس فأسرع الخطى. تعرف تارا انه لا يحسب لظرف كهذا حساباً ولكن وضعه قد يسبب له كثيراً من المضايقات...

دخل بقامته المديدة فنهض كل من الرجال الثلاثة وقدموا أنفسهم مبيّنين له سبب وجودهم في بيته. لم يبد لتارا أنه تأثر، وكان طيلة الوقت ينقل نظره

www.elromancia.com

من الرجال الى زوجته وبالعكس. ركز عينيه مرتين على ديفد وفي كل مرة كان يكشّر. اعتزّت تارا بثبات جاشه وبثقته في نفسه، وتأكد لها انه سيكتسحهم بغطرسته التي ورثها عن أجداده الوثنيين.

بعد ان انتهى الشرطيان من الحديث ومن إلقاء الاسئلة التي كان يجيب عليها باقتضاب او لا يجيب، التفت الى امرأته وقال:

ـ الواضح انك قلت لهؤلاء الرجال انك تزوجتني بمحض اختيارك.

أجابت باقتضاب:

ـ نعم، قلت ذلك.

وأدارت وجهها عنه بالرغم من ان نظراته كانت تخلو من الغطرسة أو الغضب. بل كان فيها نوع من الحزن. وهذا ما ارادت تارا ان تتفاداه.

ـ في هذه الحال، ليس لديك أي شيء تشكين أو تتذمّرين منه اذن.

قال ديفد بغضب مكبوت:

ـ بل على العكس. لديها الكثير تشكو منه! اختطافها يوم حفلة زفافها.. بساعة واحدة قبل ان تزف اليّ...

فالتفت ليون اليه وقال:

ـ كانت تارا قد وعدتني بالزواج قبل يوم زفافها بمدة طويلة. فهل من المعقول ان تتخلى عني لتتزوجك؟ هذا شيء لم أقله، وهي تعرف في صميم قلبها اني حسناً عملت باختطافها...

ـ اذن كانت مخطوبة لك؟

حدق ديفد وهو لا يصدق في وجه الرجل الذي سرق عروسه ثم الى وجه العروس نفسها. كان وجهها متورداً وكان العرق يتصبب من جبينها. قالت:

ـ هذا غير صحيح. مستحيل. لم أسمع عن هذا الرجل الا عندما كان في المستشفى.

سألها الشرطي الانكليزي عابساً:

ـ هل هذا صحيح؟

وسألها الشرطي اليوناني بدوره:

ـ كنت مخطوبة؟ اذا صح هذا... فالخطوبة في اليونان هي بدرجة الزواج تقريباً. والخطوبة لا تفسخ الا في حالات نادرة.

أجابت تارا بصوت جاف لم تكن تعرفه هي نفسها:

ـ لم اكن مخطوبة الى السيد بتريديس ابداً.

فقال ليون:

ـ اني لم أذكر كلمة خطوبة.

ولدهشة الجميع اقترب منها ورفع ذقنها بقوة وقال:

ـ انت وعدتني بالزواج. ولذا فاني اعتقد انك لن تكذبي يا زوجتي. هل وعدتني ام لم تعديني بالزواج؟ وهزها من ذقنها مرة اخرى متحدّياً اياها بنظرة قاسية وحاثاً إياها على اعطاء الجواب فوراً.

ـ نعم... نعم. وعدته بأن اتزوجه.

كان صوتها مخنوقاً وصعق ديفد عندما سمعها وقال وهو يهز رأسه:

ـ غير ممكن! ماذ جرى لك؟ متى تعرّفت عليه؟

أجابت تارا:

ـ عندما كان في المستشفى.

كان وجهها بلون وجوه الموتى. وودّت لو تستطيع ان تختفي عن الانظار ريثما تستجمع قواها وتهدىء أعصابها المنهارة وتابعت كلامها قائلة:

ـ كان يعتقد ان كلاً منا خلق للآخر، واقنعني في مرة من المرات اننا متلائمان ننسجم مع بعضنا.

ـ متى كان هذا بحق السماء؟

ـ قبل يوم الزفاف بأسبوع يا ديفد.

ـ قبل التاريخ الذي عينته لزواجك. ووعدتني أن تتخلّى عنك لتتزوجني.

ـ هذا مستحيل! أنكري ذلك يا تارا! تكلّمي!

ـ لا تستطيع انكار ذلك. اعترفت في هذه اللحظة بأنها وعدتني فتزوجتني بمحض اختيارها، ونحن نتوقّع ولادة طفلنا الاول...

ـ كلا!

خرجت هذه الكلمة من فم رجل يائس ونهض رافعاً يده كمن يريد ان يضرب هذا الرجل الوقح، وتابع احتجاجه قائلاً:

ـ تارا، انت لست...

شعر ديفد ان قواه خارت فارتمى على كرسي وهو ينقل نظره بين ليون وتارا التي وجدت نفسها تقارن بين الرجلين. كان ديفد ينقصه الكثير من

رجولة ليون. ولكنها أشفقت عليه وتمزق فؤادها من أجله لأنه كان يحبها من كل قلبه وبإخلاص. وبالرغم من انها تعلم تماماً انه يعجز عن انقاذها من هذه الورطة كما تعجز هي، إلا انها لا تشك في أنه يتألم مما حدث. وبعد فترة قالت بصوت هادىء وهي تنظر الى ديفد:

- اني لا اتوقع ولادة طفل. وزوجي ارتكب خطأ في حسابه.

لم يصدق ليون ذلك وسألها بحدّة:

- هل هذا صحيح!

- لا يربطني أي شيء بك يا ليون. فأنا ذاهبة مع هؤلاء الرجال. ارجو المعذرة، فاسمحوا لي ان أوضب حوائجي وساكون جاهزة في أقل من ربع ساعة.

- انتظري يا تارا! لا تستطعين تركي! هل تسمعين؟

قال الشرطي البريطاني:

- لا شيء يستطيع منعها من ان تأتي معنا. أنت اخذتها بصورة غير شرعية.

فنظر ليون الى تارا وسألها:

- هل تقدمين شكوى ضدّي؟

- انا...

تلعثمت. وارادت ان تسبب له بعض القلق. ولكنها لا تستطيع ان تقول له بأنها ستتهمه امام الشرطة بينما هي لا تنوي ان تفعل ذلك.

- كثيراً ما قلت انك تودّين ان تريني في السجن ياعزيزتي. هل ما زالت هذه الفكرة تراودك؟

- قد يكون هذا ما تستحق.

- لم تجيبي على سؤالي بعد.

- ليس لدي شكوى ضدك.

دهش الشرطي ستوارت فهتف غير مصدق:

- ماذا؟!

ولكنه لم يضف أي كلمة اخرى.

- وهكذا فان الفكرة لا تراودك الآن؟

- كلا.

- مضى زمن طويل منذ ان قلت هذه الكلمات. اما الآن فلا اريد ان أراك

في السجن.

فعلّق الشرطي مرياكيس قائلاً:

- اذن هذه نهاية التحقيق. ان هذه السيدة وعدت ان تتزوجه ثم تخلّت عنه وتزوجت شخصاً آخر. ويبدو لي انها لا تعرف أياً منهما تختار. ويعتبر الناس من مثلها طائشة فيفقدون احترامهم لها وتبقى عزباء طول حياتها...

احمرّت تارا من هذا الكلام ومن احتمال سخرية ليون منها. ومع ذلك فكل شيء فيه يجتذبها، ووقاحته اكثر من أي شيء آخر.

- انا ذاهبة لتحضير ثيابي.

لم يمض على خروجها ثلاث دقائق حتى كان ليون عندها في الغرفة. ورأته واقفاً يضع يداً على الباب واخرى في جيبه.

لم تتحمل نظراته وخافت من هذا السكوت الذي يشبه السكون قبل العاصفة. فقالت وهي تشعر بالخوف لأنه قد ينجح في منعها من الذهاب:

- ماذا تريد!

- هل صحيح انك لست حاملاً؟

كان كلامه ناعماً وكان فيه تحدّ ولكنها لم تتجاسر على الكذب، فأجابت:

- نعم، صحيح. وهذه المرة كان القدر لطيفاً معي.

كانت وهي تتكلم تضع اشياءها في حقيبة على السرير وهي شاردة الذهن.

- اني لا أقبل الهزيمة يا تارا.

- يجب ان تقبلها هذه المرة. انا حرة الآن وانت خسرت الجولة الاخيرة!

وعندما كانت تضع بعض الالبسة الداخلية في الحقيبة قالت:

- ساعيدها كلها اليك مع الحقيبة...

- اخرسي!

اخذ قلبها يخفق بسرعة.

- ماذا يعمل الشرطيان الآن؟

- لا ادري. يناقشان بعض الاشياء. اما شرطيك الانكليزي فكاد يجنّ لأنه لا يستطيع توقيفي.

- انا لا ارغب في ان أراك موقوفاً.

- لماذا؟

ـ لأنني لا أحقد.

وضبت آخر قطعة اخرجتها من الجارور ووقفت مرتبكة لا تدري ما تفعل وسمعت في الخارج عصفوراً يزقزق.

ـ تعالي يا تارا!

لم تجبه، بل ذهبت الى الخزانة وأخرجت منها فستاناً وضعته في الحقيبة وسترة وضعتها على السرير. ولما استدارت كان ليون واقفاً لصقها تقريباً. ضمّها اليه ليجعلها تستسلم كما كانت تفعل كل مرة في السابق. وهمس في أذنها:

ـ لا تستطيعين التخلّي عني. انت لي يا تارا. انت ملك لي. لن أدعك تذهبين... ابداً، ابداً!

ـ لا تستطيع عمل شيء الآن.

ـ انك تغيظينني. هل تعتقدين اني سأسمح لزوجتي ان تتركني... لتذهب مع رجل آخر؟

حملقت فيه مستغربة وقالت:

ـ مع رجل آخر؟

ـ هذه السمكة المتكوّمة على الكرسي في غرفة الجلوس. لا يلائمك هذا الرجل ياحمقاء! انت بحاجة الى رجل! انت بحاجة الي!

ـ لا احتاج لا اليك ولا اليه. لن اتزوج ابداً... وقد يعزّيك هذا!

ـ لكنك متزوجة الآن.

ـ لن أكون زوجة بعد بضعة أشهر!

افلتت منه وركضت لتطبق غطاء الحقيبة. وتناولت السترة والحقيبة ولكنها وجدت ان ليون قد سدّ عليها الطريق.

ـ يا لعينة...

وتوقف عندما سمع وقع أقدام مسرعة تصعد السلّم. وفتح الباب فجأة فدخل ثلاثتهم الى الغرفة.

ـ ماذا جرى؟

وبدلاً من ان تجيب على سؤال ديفد سلّمته الحقيبة.

ـ أبعدني عن هذا المكان.

كانت تبكي كالطفل وارتمت بين ذراعي ديفد قائلة:

ـ اريد ان أعود الى انكلترا!

خشيت من ان ليون سيقاوم حتى النهاية. ولكنها رأت انه تراجع امام ثلاثة رجال وبدا عليه التردّد.

ـ هذه ليست النهاية يا تارا. ستعودين!

كان كلامه كلام رجل واثق من نفسه. ولكن تارا خرجت من الغرفة يتبعها ديفد والشرطيان.

كانت على الزورق عندما تكلم ديفد دون ان ينظر اليها:

ـ لاحظت ان لهذا الرجل سطوة عليك، أليس كذلك؟

ـ نعم يا ديفد وكان ذلك منذ أول لحظة رأيته في المستشفى.

ـ ومع ذلك لم تقولي شيئاً.

ـ هذه الاشياء لا يتكلم عنها الانسان.

كان كلامها واقعياً وكان فيه نوع من الاعتذار.

ـ هل حاولت ان تتخلصي من هذه السطوة؟

ـ طبعاً، لأني لم أرد الا الزواج منك.

التفتت الى حيث كان الشرطيان واقفين على متن الزورق. كان الشرطي اليوناني في طريق عودته الى اثينا والانكليزي الى انكلترا، وكان هذا الاخير مغتاظاً منها لأنها فوّتت عليه الفرصة في اقامة دعوى ضد ليون، ولو لم تكن تزوجت منه لكانت الدعوى أقوى بكثير.

ـ والآن لا تريدين ان تتزوجيني.

ـ انت قد لا ترغب في الزواج مني.

اوما ديفد بالإيجاب. أما هي فاضافت:

ـ كانت تكون غلطة كبيرة لو تزوجنا، ولكننا كنا واثقين اننا نحبّ بعضنا.

لم يعلّق على ذلك بشيء. ولكنها تابعت تقول بالصوت الناعم الذي كان ديفد يعبده:

ـ انه لمحزن حقاً يا ديفد، ولكن من حظنا اننا اكتشفنا ذلك الآن.

عبس فجأة وأجاب والألم يحز في قلبه:

ـ لو لم يختطفك هذا الحيوان لتزوجنا وكنا سعيدين الآن.

ـ سعيدين لمدة وجيزة فقط. كلانا متأكد من ذلك. ولكن مع مرور الوقت كنا اكتشفنا خطأنا يا ديفد.

ـ كيف تقولين ذلك؟

ـ لأننا اكتشفنا اننا لا نحب بعضنا.

لم ينكر ذلك بل اكتفى بأن تنهد. لكنه اقترح عليها ان يذهبا لتناول شيء من الطعام.

ـ سيكون هذا آخر ما بيننا.

دخلا الى مطعم الزورق تاركين الشرطيين يتحادثان.

اتفقوا ان يأخذ ديفد وستوارت وتارا الطائرة ليعودوا الى انكلترا. ولكن قيل لهم ان طائرة المساء كانت كلها محجوزة. ولا يوجد الا مكان شاغر واحد في طائرة اليوم التالي.

ـ هذا يعني اننا سنبقى في الفندق.

تذمّر اوسكار من اضاعة الوقت، أولاً في عدم توفيقه باقامة الدعوى وثانياً في عدم تمكنهم من السفر.

ـ اقترح ان نزور المدينة طالما نحن في اثينا. لنذهب الى زيارة الآثار في الاكروبوليس.

لم يكن ديفد متحمساً لهذه الفكرة. ولكنه رافقها وفي اثناء الجولة قالت تارا ان بإمكانها التجوّل وحدها.

وأجابها ديفد بشيء من الاغتياظ:

ـ اظن انك مسرورة لأنك لم تتمكني من العودة الى انكلترا حالاً.

ـ لا تقل تفاهات يا ديفد.

ـ ليست تفاهات. يبدو لي انك مسرورة بوجودك في اليونان... بلده!

تنهّدت ولم تقل شيئاً، وتابع ديفد يقول:

ـ ما زالت له سيطرة عليك رغم بعده عنا بأميال. هل انت أكيدة من عدم حبك له؟

وجّه سؤاله هذا غيظاً واحتقاراً. وهذه المرة الاولى التي ترى فيها ديفد بهذا المزاج ولكنها لم تكن تلومه.

ـ اذا اردت الحقيقة، اني أحبّه.

ـ كنت اعرف ذلك.

كانت عيناه تنمّان عن ازدراء.

ـ اذن لماذا انت هاربة منه؟ من الواضح انك تستمتعين بأن تكوني تحت

سيطرة الغير. ذهلت عندما رأيته يرفع رأسك من ذقنك بهذه الطريقة الوحشية، وذهلت اكثر عندما لم تحتجي بكلمة او تقاومي حركته بحركة عمائله. أي نوع من النساء انت؟

ـ لا اعرف. ان شخصية ليون قوية لدرجة اني... أرى نفسي بلا حول...

ـ وتحبين ذلك؟ هذه جاذبية الرجولة، هيه؟ والى متى تستطيع فتاة مثلك ان تتحمل عبودية يفرضها عليها رجل غريب؟

ـ تركته لأني ارفض هذه العبودية. ظننت انك خمنت ذلك مثلما خمنت انني أحبه.

كان وجهها شاحباً. وكانت تتألم لمجرد التفكير في انها لن تستطيع العيش مع ليون. فقط لو انه يحبها... لو انه يسود عليها دون ان يقسو... لو يحبها ويمنحها احترامه وحنانه...

لا تتحمل حياة بدون هذه الاشياء. ولكن كلمته كانت شريعة تطاع ولا تناقش. كانت ارادته فوق كل ارادة، وأوامره تنفّذ دون جدل. ولكن بقدر ما تحبه تارا بقدر ما تحب ان تكون بعيدة عنه.

ضايقتها اعتراضات ديفد على كل ما تقوله او تفكر فيه. فاقترحت عليه ان يأخذ المكان الشاغر على الطائرة ويعود الى انكلترا وستلحق به برفقة الشرطي. وافق ديفد وكان الوضع مربكاً. وبعد ان رحل شعرت ان كل شيء تركها، القوة والنشاط والحيوية. ولم يخفف الشرطي ستوارت من آلامها النفسية بمعاملته البعيدة عن المجاملة وهما يتحدثان اثناء وجبة العشاء:

ـ كل هذا مضيعة للوقت! وكان لا يهمني لو اني تمكنت من زوجك هذا بجلبه معي الى انكلترا! لم نفكر قط انك تزوجته! فقد قلب هذا خططنا رأساً على عقب.

ـ يسرّني ان ليست هناك قضية ضدّه.

ـ هل تحبين هذا المحتال؟ واذا كنت تحبينه، ماذا تعملين هنا؟

ـ لا اعرف...

نظرت اليه جاهدة ألا تبكي أمامه.

ـ لا تعرفين؟

وغيّر صوته ولهجته:

ـ يجب ان تعرفي! انت تحبينه!

تجاهلت ذلك وقالت وهي تمسح عينيها بيدها:

ـ أنت متضايق لأنك خسرت القضية ضده. لكن دعني أقل لك هذا يا مستر ستوارت: لقد خسرتها لأني انقذت زوجي من المحاكمة بادّعائي اني لم أُخطف واني تزوجته باختياري!

كان الذهول واضحاً في عينيه:

ـ انت....؟ هل تظنين ان الناس يصدقونك؟ لا تنسي، كنت في طريقك الى المعبد. النساء!.... كلهن سواء. لا يعرفن ما يردن ولو لبضع دقائق! تقولين انك تريدين ان ترجعي الى انكلترا بينما خاطفك هذا الذي تريدين العودة اليه!

حوّلت نظرها عنه عندما قال هذا، ولكنها أقرّت بأن ما قاله من انها ترغب في العودة الى زوجها صحيح. غير انها قالت:

ـ سنعود الى الوطن غداً. هل حجزت مكانين لنا فعلاً؟

كان غاضباً عندما أجاب وهو ينظر اليها نظرة خاصة:

ـ لي رغبة قوية في ان اتركك تتصرفين حسبما شئت.

في النهاية رفعت رأسها وتطلعت فيه:

ـ هل تفعل هذا؟ لن تتركني هنا وحدي...

ـ طبعاً، لن اتركك وحدك.

في صباح اليوم التالي خرجت تارا لتتجول في المدينة. وبعد زيارة عدة اماكن انتهت الى ساحة الدستور حيث جلست في قهوة خارجية وتناولت فنجان قهوة. بعد ذلك ارادت الذهاب الى الاكروبوليس حيث كانت تأمل ان تجد الهدوء ولو لبرهة وجيزة. تجولت بين خرائب المدينة وتصورت كيف كانت أبنيتها الرخامية في تلك الايام الغابرة عندما كانت الجماهير تجتمع لاحياء ذكرى أثينا رمز الحكمة.

مضى الوقت ولم تشعر تارا بمروره لولا ان الجوع نبّهها فجأة. وكانت الشمس عند المغيب عندما عادت الى الفندق. وما كادت تدخل البهو حتى سمعت شخصاً يناديها، والتفتت ناحية الصوت رأت نيقولاوس.

ـ ماذا تعملين هنا؟ هل... ليون معك؟

ـ انا هربت يا نيقولاوس.

قالت ذلك بصوت رتيب لا حياة فيه.

ـ هربت؟ نجحت في الهرب؟ كيف؟

لم يبد مدهوشاً وقبل ان تجيبه على سؤاله دعاها للجلوس في زاوية هادئة من القاعة. قصّت تارا كل ما حدث وقصّ عليها بدوره كيف هرب بعد ان وضع السلّم تحت النافذة لئلا يقع في قبضة ليون.

وقال معلقاً:

ـ وليون أسرع مني ويستطيع ان يسبقني.

ـ لا ألومك على فرارك، ولكن لماذا لم تتصل بي بعد ذلك؟

ـ فضّلت ان أختفي بعض الوقت لأبعد عني الشكوك.

لكن ليون شك في نيقولاوس ولا تعرف لماذا لم يلاحق الموضوع. ربما حاول ان يتعقب نيقولاوس ولكنه لم يعثر عليه. فسألته:

ـ لماذا انت هنا الآن؟

تردّد قبل الاجابة وحاول عدم النظر اليها عندما قال:

ـ زورقي في بيراوس الآن.

ـ هل تعود الى هيدرا عن قريب؟

ـ نعم... هل تفكرين في العودة الى هيدرا؟

هزت رأسها، ولكنها لم تكن متأكدة من انه اقتنع. مضت برهة سكوت، ثم قال:

ـ هل تحبين ليون يا تارا؟

وجد نيقولاوس صعوبة في توجيه هذا السؤال. تطلعت اليه بعينين دامعتين وتمنّت لو يسرع الخادم في تقديم طلبها حتى تبلّل جفاف حلقها.

ـ نعم. اني أُحب ليون. ولكني لا استطيع البقاء معه يانيقولاوس. انا انكليزية واريد ان يحبني زوجي. معظم الحياة الزوجية في اليونان تمضي بلا حب، أو ان الحب يأتي من جانب واحد فقط هو جانب الزوجة. لأن النساء هن اللواتي يقعن في حب ازواجهن.

كان كلامها كله مرارة.

ـ انا انكليزية والحب ضروري لي... الحب من طرف زوجي.

ـ انت حزينة بسبب كل هذا يا تارا؟

ـ طبعاً انا حزينة.

لاحظت تعبيراً غريباً في عينيه ولكنها لم تعر ذلك أية أهمية، وقالت:

ـ أية امرأة تحب زوجها لا تحزن اذا هي تركته؟ ان حياتي تكون سعيدة لو احبني ليون. طبعاً انا حزينة.

وبذلت جهداً كبيراً لتمنع نفسها من البكاء. قال نيقولاوس:

ـ استطيع أن أحبك كثيراً، لكن يبدو ألا مجال لذلك. هذا ما أراه الآن.

ـ كان لطفك عظيماً عندما أبديت استعدادك لمساعدتي.

ـ لكني لم أتوصل الى اية نتيجة. هل غضب ليون؟

ـ لا تسألني. كاد يقتلني!

ـ انه حادّ الطباع.

وبينما كانت ترتعد بعض الشيء ابتسم نيقولاوس ابتسامة خفيفة وقال:

ـ ليون يجتذب النساء في كل الاوقات. اما المهذبون مثلي فليسوا مرغوبين.

ـ ستجد الزوجة الصالحة لك في يوم من الايام يا نيقولاوس.

هز كتفيه وتحوّل الى موضوع آخر:

ـ ستترك إلين هيدرا وستسكن في اثينا.

تسارعت دقات قلبها وسألت فوراً:

ـ صحيح؟ اذن انتهت العلاقة بينها وبين ليون؟

ـ انتهت. لا تنسي ان ليون متزوج الآن. اليونانيون يعتبرون الزواج أبدياً.

تكلمت تارا وكان صوتها بلا حياة هذه المرة ايضاً:

ـ في نيتي ان أطلّقه.

أتى الخادم بطلبها وكانت تارا تشعر بظمأ شديد. قال نيقولاوس:

ـ الطلاق لا يعجبه...

وتوقف فجأة عن الكلام وقد قطب جبينه ومن ثم قال وهو ينظر الى ساعته:

ـ دعينا نغير موضوع حديثنا .. قلت ان الطائرة لا تقلع قبل منتصف الليل؟

ـ نعم. هذا اذا أتى الشرطي ورافقني وآمل انه لن يهملني.

ـ هل تحبين تمضية بعض الوقت على زورقي؟

ـ يجب ان اكون في المطار عند الحادية عشرة إلاّ ربعاً. لن يكون لدي الوقت الكافي اذ عليّ ان أبقى هنا في انتظار المستر ستوارت. أشكر لك لطفك يا نيقولاوس ولكني لم آكل بعد.

ـ يمكننا تناول شيء على الزورق فإنّ بحّارتي ماهرون في الطبخ.

كان متلهفاً للحصول على جوابها. لا تستطيع ان تخاطر بالوقت، فقد يحدث حادث ويؤخرها على الطائرة. ولكنها في نفس الوقت لا تريد ان تخيّب آمال نيقولاوس فابتسمت له موافقة.

استقلاّ تاكسياً وكانا الآن على ظهر اليخت الفاخر الذي ذكّرها بيخت ليون الجميل... وبالخوف الذي استولى عليها عندما صعدت اليه.

ـ اذهبي الى غرفة الاستقبال وسألحق بك بعد لحظة.

ارادت ان تسأله أي اتجاه تأخذ. ولكن اين غرفة الاستقبال؟ ولماذا هذا الظلام... هذا الزورق...

ـ مساء الخير يا تارا.

سمعت صوتا ناعماً ولكن ساخراً. واحست كأنه ضربة سكين تخترق صدرها فدارت على نفسها.

ـ وهكذا اختطفك مرة ثانية... بمساعدة صديقي الحميم نيقولاوس.

كان واقفا بالباب وكله هدوء وثقة.

ـ يملّ الانسان من تكرار العملية نفسها كل مرة. حاولي ان تسبّبي لي ازعاجاً آخر وستجدين اني لن اكون مسؤولا عما قد اعمل. تعالي الى هنا!

ولكنها بدل ان تستجيب الى طلبه همّت ان تهرب من الغرفة او أن تقذف بنفسها الى الماء فتسبح الى البر.

إلاّ ان يداً قوية أمسكت بها ومنعتها من الحركة ووضعتها وجهاً لوجه مع زوجها... وهالها ما رأت فهتفت ذاهلة:

ـ اذن هذا الزورق لك.

وقبل ان تضيف اى شيء شدّها اليه ولكن بألطف طريقة ممكنة وقال:

ـ حبيبتي، احببت ان أمازحك بتخويفك قليلاً ولكني رأيت الرعب يدبّ فيك. لا تخافي مني بعد الآن ياعزيزتي ويا حبي...

تلاشى صوته تدريجياً ولم يجد التعبير الملائم فاكتفى بأن يضمّها بين ذراعيه وان يسمعها دقات قلبه. أصابها ذهول لا يوصف امام هذه

المعجزة. ولا يهم كيف حدثت. المهم هو ان احساساتها كانت تتجاوب بعمق مع هذه اللحظات الثمينة وكانت وهي تقبض على ياقة سترته بكل قوتها تقول بصوت كاد يكون صراخاً:

ـ لا أفهم ياليون. لا افهم. كيف حدث ذلك؟ لا استطيع ان أصدق. قل لي ان هذا حقيقي، انك... انك تحبني.

بكت وكان البكاء يختلط بصوتها. وسمعته يهمس:

ـ كم أحبك... انا مجنون بحبك!

عانقها عناقاً طويلاً واستسلمت له استسلاما حالماً كلّه حنان وعطف. وفي النهاية سألته:

ـ كيف حصل كل ذلك؟

فقادها الى غرفة الاستقبال حيث كانت الاضواء الخافتة اكثر ملاءمة لتبادل حديث هادىء في جو تزينه باقات من الازهار العطرة وموسيقى يونانية ناعمة ترافق تمايل الزورق على سطح الماء.

كان ليون وتارا جالسين وأصابعهما متشابكة. كان هو المتكلم. علمت عن اشياء كثيرة، منها خوفه الكبير عندما رآها في النافذة تهدّده بأن تقذف بنفسها وغضبه الذي تلا ذلك وكان نتيجة لهذا الخوف.

ثم اطلعها على شكّه في نيقولاوس وكيف صمم على ان ينتزع منه الحقيقة عند عودته من جزيرة خيوس. وكيف حصل عليها وهدّده ليون باجراءات صارمة لونجح في مشروعه لأنه كان يحب امرأته.

اما الجزء التالي من معلومات ليون فكان يتعلق بخبر فاجأها. وهو ان الشرطي الانكليزي ستوارت ارتأى ان يتصل به هاتفياً ليقول له ان تارا كذبت كيلا تكون سبباً في تقديمه الى المحاكمة.

ـ عندما قال لي انك كنت تؤكدين مجيئك معي بمحض اختيارك عرفت انك تحبينني. ومجرد كونك ارتكبت كذبة لتنقذيني برهان قاطع على حبك لي. لا افهم ياحبيبتي كيف احببتني بالرغم من كل معاملاتي السيئة لك.

تنهد طويلا وفي ملامحه ندم حقيقي على كل ما بدر منه.

ـ كنت دائماً ارفض ان اقع في الحب. وكنت اكره اصرارك على الحب والعناية وايمانك بأن لا سعادة في زواج بلا حب. وفي النهاية اقتنعت بهذا كله.

حتى في هذه اللحظة كان يشعر بقشعريرة الخوف وهو يفكر باحتمال سقوطها. ولكن فرحه بعودتها كان شيئاً مذهلاً. وتابع حديثه يقول:

ـ كنت اطلب حبك وكنت واعياً بمعاملتي لك.

ـ لكنك قلت ان ذلك كان لمصلحتنا، وفعلاً كان.

ـ ربما لا تقبلين بتفكيري، ولكني أصارحك ياعزيزتي اني كنت خائفاً... خائفاً جدا... عندما تأكدت من أني احبك.

وبعد ان توقف قليلا تابع حديثه ليشرح لها كيف طلب من نيقولاوس ان يرافقه الى بيراوس وكيف خطّطا ان يبقى نيقولاوس في الفندق حتى يصادفها.

ـ ولكن هذا يحيّرني. لماذا لم تأت انت شخصياً.

ـ خشيت إن أنت رايتني ان تهربي. وكنت ستركضين حتى تهلكي وتختفي عن الانظار. ومعنى هذا انه سيتوجب عليّ ان ابحث عنك من جديد. ولكني كنت واثقاً من أني سأجدك. ألم أقل لك انني لن اتركك تذهبين وانك لي الى الابد؟

ـ نعم، قلت هذا.

ـ كانت هذه الوسيلة افضل. ان تأتي الى زورقي بدعوة من نيقولاوس.

ـ كان نيقولاوس مقنعاً جداً. لم يبد عليه أي ارتياك.

ـ حذرته كي يكون حريصاً، وكم تكون خيبتنا كبيرة لو انك لم تأتي.

ـ برهن نيقولاوس بعمله هذا على انه كان مديناً لك.

ـ كان متردداً في بداية الامر. واشترط للقيام بهذه العملية ان يتأكد من حبك لي، وقال ان حبي لك لا يكفي. اذ سيكون خائناً لك اذا اتى بك الى الزورق دون ان يتأكد من انك ترغبين في الرجوع. لأنه بذلك يكون قد حكم عليك بالسجن في بيتي... كما كنت تسمين ذلك في اكثر من مناسبة.

ضحك ليون عند هذه العبارة ففضحكت تارا معه.

ـ فهمت الآن لماذا كانت اسئلته رقيقة. اراد التأكد من حبي لك قبل ان يدعوني الى زورقه!

ـ كان من المفروض ان يقول ان الزورق له، أليس كذلك؟

ـ آه يا ليون. اني احب نيقولاوس لما قام به!

ـ ماذا قلت؟

فضحكت تارا من جديد:

ـ انت تفهم ما اقول. وأحبك انت ايضاً طبعاً.

ـ اشكر لك كلماتك اللطيفة! أعيدي هذه الكلمات بطريقة اكثر شاعرية بعد العشاء الفخم الذي يهيأ لنا.

ـ قال نيقولاوس ان بحارته سيتدبرون هذا الأمر!

ـ كل هذا جزء من الخدعة، ونجحت الخدعة.

وضمها اليه برقة فاستجابت له بعفوية.

وسألته بلهفة:

ـ متى بدأت تشعر بأنك تحبني؟

ـ هذا سؤال من المستحيل الاجابة عليه.

نظر اليها بعينيه السوداوين طويلاً ثم قال:

ـ لا ادرى اذا كان حباً من النظرة الاولى. فما من امرأة اجتذبتني كما اجتذبتني انت في المستشفى فأقسمت ان تكوني لي.

هزت رأسها دهشة. لم يخطر لها في حينه ان يتساءلا ما اذا كان ذلك حباً من النظرة الاولى.

ـ ظننت أنها كانت مجرد رغبة يا ليون.

ـ وهكذا ظننت انا ايضاً، ولكن...

هز رأسه قائلاً ان ذلك لا اهمية له الآن طالما انه يحبها.

ـ اتذكرين الآن كيف كنت تحنين غضباً عندما أقول لك ما أقول؟ وكنت اعرف حتى في تلك اللحظة اني لن اصادق اية امرأة اخرى في حياتي، وهذا ما يجعلني اعتقد بأنني أحببتك منذ البداية.

ـ كنت اؤمن احياناً انك قد تقع في حبي. ولكنني وجدت بعد ذلك اني مخطئة.

ـ من المؤسف ان لا أحد منا كان يتكلم عن احساساته الحقيقية، وكنت اعرف ان الحب يأتيك تدريجياً لانك فتاة لا تستسلم للرجل لمجرد المتعة.

تعانقا مجدداً ورأى كل منهما انه ما يزال هناك الكثير يتكلمان عنه. الا انهما فضلا البقاء صامتين يستمتعان بهدوء البحر من حولهما، وبالتفكير في الأيام المقبلة المليئة بالحب على جزيرة هيدرا... واسمها الآخر جزيرة الفردوس.